لا تكن أعجـــز الناس

فـــتـــترك سلاحك

شــأن الـدعـاء

فضـلـــــــــــــه

آدابـــــــــــــه

أوقاتـــــــــــه

أحـوالـــــــه

أماكنـــــه

موانعـــه

كتبـه
عبد الرحمن بن عبد الله بن صالح السحيم

إهــداء

و

نــداء

إلى كلّ ملهوف ، وإلى كلّ مكروب ومحزون ، أوسجين أوطريد ، وإلى كلّ مظلوم كبده حـــرّى ، وإلى كلّ طريح الفراش حبيس المرض ، أو مَنْ له غائب ينتظر قدومه ، وإلى كلّ امرأة غاب عنها زوجها ، أو اتّسعت هوّة الخلاف بينه وبينها ، وإلىكلّ مَنْ تزوّج ولم يُوفّق ، وإلى كل عَزَبٍ يبحث عن زوجة ، وإلى كل فتاة طالت أيمتها ، وإلى مَنْ رُزِقَ الزوجة وحُرِمَ الولد ، وإلى كلّ أب أو أم يَهمّهم صلاح أولادهم ، أو يُقلقهم فسادهم ، وإلى كلّ ذي حاجة لم تُقضَ له ، وإلى مَنْ أُغلِقَتْ بوجهه الأبواب ، وإلى ذوي الفقر والمَسْكَنَة ، وإلى مَنْ رَكِبَته الديون فتراكمتْ ، وإلى كلّ سائل ، وإلى كل مُبتلى بمسّ أو سحر ، وإلى كل من أصيب بِشواظٍ من عين حاسد ! وإلى من ضاقت عليه السُّـــبُل وضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت فأصبح ينظر إلى الدنيا من ثقب إبرة ولا يرى أمامه سوى إزهاق روحه وقتل نفسه ...

إليكم جميعاً :

ألم يأن لكم جميعاً أن تَمُدّوا أيديكم إلى مالك الملك ، وإلى مَنْ بيده ملكوت كلّ شيء ، وهو يُجير ولا يُجار عليه ؟

ألم تتذكّروا فضل الدعـــاء ؟

ألم تعلموا أنه سلاح المؤمن ؟

فـــإلى مـــتى الـــتّـــواني ؟

وإلى متى البخل على أنفسكم ؟

وإلى متى العجـــز والكسل ؟

إن ما بينكم وبين السماء السابعة سوى مسافة دعوة مظلوم .

وما بينكم وبين باب ذي المنن سوى قَـــرْعِـــهِ وإدامـــة ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى ، الذي يعلم السر وأخفى .

الحمد لله الجواد الكريم ، أمـــر عباده بالدعـــاء ووعدهم بالإجابة فضلا مِنْه ومِنّة وتكرمـــا .

أشهد أني ربي حيي كريم ، وأنه عظيم حليم .

وأنه أهل الثناء والمجد ، لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه .

وأُصلّي وأُسلّم على من بعثه ربه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأبرار ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فإن الدعاء عباده بل هو العبادة [1] .

ولما كان كذلك ورأيت أن بعض الناس يتدافعون أحياناً على أبواب الناس ويزدحمون عليها ، غافلين أو متغافلين عن باب ذي الجلال والإكرام ، منصرفين عن باب الجواد الكريم سبحانه ، لما رأيت ذلك أحبب أن أكتب في هذا الموضوع أوضّح فيه ما كان خافيا عليّ في يوم من الأيام ، فقد عَرَضَتْ للعبد الفقير حاجة ، فكان من توفيق الله – جل جلاله – أن وقفت على ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :" مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدّ فاقته ، ومَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالله ، فيوشك الله له برزق عاجل ، أو آجل " [2] فالحمد لله أولاً وآخراً .

وما رأيته من لجوء كثير من الناس إلى الأسباب المادية ، وإلى الخلق – دون قرع باب مسبب الأسباب ، ومن بيده قلوب العباد ، وإليه المعاد – مما دفعني للبحث في هذا الموضوع والكتابة فيه . رجاء أن أنتفع به أولاً ، وينتفع به غيري ثانياً .

وحسبي أن أغرف مما صحّ من دواوين السُّنّة وبطون كتب السلف ، مما وشّيْتُ به هذه الرسالة وحلّيتُ به عرائس القول .

وحسبي أني أنتقي من أطايب القول ، وأنظمه عقداً في سلك الترقيم ! مـــما قـــد يخفى على بعض الناس إن لم يكن على كثير ممن يُريد الدعاء .

---

١ – كما سيأتي في حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – (ص ٧ ، ٨) .

٢ – حديث صحيح : المسند (٤٤٢/١) والترمذي (٥٦٣/٤) .

ولي في صنيعي هذا قدوة وأسوة في أئمة الإسلام ، وإن كنت في جنبهم كبقلٍ في أصول نخـــل طوال [٣] ، لكن التّشبّه بالكرام فلاح .

وبدا لي أن أكتب من خلال النقاط التالية :

١ تعريف الدعاء وأنواعه

٢ الأمر بالدعاء والحث عليه .

٣ فضل الدعـــاء .

٤ كيف يكون الدعاء مستجاباً ؟

٥ أدعية مأثورة ودعوات مستجابة .

٦ موانـــع الدعـــاء .

٧ نماذج من دعوات الصالحين المُستَجابَة .

وسوف التزم في هذه الرسالة بالاقتصار على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ففي الصحيح غُنية وكفاية ، وسوف أقوم بتخريج الأحاديث تخريجا متوسطا ، وأُقدِّم بين يدي التخريج بالحكم على الحديث صحة أو حُسنا ، وأما ما يكون من أحـــاديث الصحيحين أو أحدهما فسوف أكتفي فيه بمجرد العزو بالجزء والصفحة ورقم الحديث ما أمكن ، إذ أحاديث الصحيح قد جاوزت القنطرة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، واعتنيت بتخريج أحـــاديث الصحيحين فالمرفوع منها أذكر الكتاب والباب والجزء والصفحـــة ، إلا أني أغفلت الأبواب في التخريج من صحيح مسلم ؛ لأن التبويب من صنيع الشُّرّاح وليس من صنيع الإمام مسلم – رحمه الله – .

وإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما دون غيرهما ، إلا لزيادة فائدة .

كما سيلحظ القارئ الكريم في بعض الصفحـــات أو من خلال بعض النقاط أني أســـرد فيها الآيات والأحاديث دون تعليق أو بيان مُكتفياً بوضع العنوان ، وعذري في ذلك وضوح الفكرة ، مع بيان النصّ بياناً جلـــيّـــاً لما أردت الاستدلال عليه .

٣– روى الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١٣/١) عن أبي عمرو بن العلاء قال : ما نحن فيمن مضى إلا كَبَـــقْلٍ في أصول نخل طوال . والبقل : النبت الصغير ، ومنه : (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا) [البقرة : ٦١] .

وأتوجّـــه بجزيل شكري وعرفاني وتقديري لمشايخي وإخواني الذين راجعـــوا هذه الرسالة ، فأتحفوني بمقترحاتهم ، وأمدّوني بملحوظاتهم ، فالله أسأل أن يُعلي درجتهم ، وأن يرفع ذِكرهم ، وأن يُثقِّل بذلك موازينهم .

وأسأله سبحانه وتعالى " سلوك سبيل الرشاد ، والعِصمة من أحوال أهل الزيغ والعناد ، والدوام على جميع أنواع الخير في ازدياد ، والتوفيق في الأقوال والأفعال للصواب ، والجري على آثار ذوي البصائر والألباب ، وأن يفعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وجميع من نُحبّه ويُحبنا ، وسائر المسلمين إنه الواسع الوهاب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مَتاب " [٤] .

وهذا جُهد الـــمُـــقـــلّ ، فما كان فيه من سداد وتوفيق فهو مِنّـــة من الله وحده ، وما كان فيه من عيب فذاك مني والله ورسوله مِنه بريئان .

وأشكر كل من أهدى إليّ عيوبي .

---

٤ – ما بين العلامتين من مقدمة الإمام النووي لكتابه المجموع شرح المهذب (٢٩/١)

أولاً : تعريف الدعـاء

الدعاء هو النداء والطلب

ومنه قوله سبحانه : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) [البقرة : ١٧١]

قال في المصباح المنير : دعوتُ الله أدعوه دعاء . ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيداً : ناديته ، وطلبت إقباله [٥] .

وقال الزمخشري : دعـــو : دعوت فلاناً وبفلان : ناديته وصِحت به [٦]

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الدعـــاء هو إظهـــار غـــاية التذلل والافتقار الى الله والاستكانة له [٧] .

ويُفرّق العلماء بين الدعاء والأمر والالتماس .

فالأمر : طلب من الأعلى إلى الأدنى .

والدعاء : – عكسه – طلب من الأدنى إلى الأعلى .

والالتماس : طلب بين مُتساويين [٨] .

وإنما أوردت الفروق هنا لأن من الناس من يُشكل عليه قول الداعي – مثلاً – : اللهم أدخلني برحمتك التي وسعت كل شيء . فيظن أن هذا من جنس الأمر ، وليس كذلك .

أنواعـه :

باعتبار هيئة الداعي :

أن يرفع يديه حذو منكبيه ، أو يمـــدّ يديه مَـــدّاً ، أو يُشير بأصبع واحدة .

---

٥ – (٢٦٤/٢) .

٦ – أساس البلاغة (ص ٢٣٢) .

٧ – سيأتي بتمامه بمشيئة الله . انظر – غير مأمور – (ص ١٢) من هذا الكتاب .

٨ – مما قيّدته مِنْ فوائد دروس شيخنا الفاضل الشيخ العلامة عبد الكريم الخضير – حفظه الله – عند قول أبي قتادة – رضي الله عنه – للنبي صلى الله عليه وسلم – في صاحب الدَّين – : صَـــلِّ عليه . قال : فهذا التماس من أبي قتادة – رضي الله عنه – .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : المسألـــة أن ترفع يديك حـــذو منكبيك أو نحوهما ، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمدّ يديك جميعا [٩] .

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا خَطَب يُشير بأصبعه المسبِّحـــة .

روى مسلم عن عمارة بن رؤيبة – رضي الله عنه – أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال : قـــبّـــح الله هاتين اليدين ! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بإصبعه المسبحة [١٠] .

باعتبار لفظ الدعاء :

توحيد وثناء ، ومسألة عفو ورحمة ، وسؤال عافية ونحوها .

قال ابن منظور – رحمه الله – :

قال الله تعالى : (وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال أبو إسحاق : يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله ، وقال الفراء : وادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلهتكم . يقول استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة ، وقد يكون الدعاء عبادة :(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) وقوله بعد ذلك : (فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) يقول ادعوهم في النوازل التي تنـــزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فإن دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة ، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) معنى الدعاء على ثلاثة أوجه :

فَضَرْبٌ منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ، وكقولك : ربنا لك الحمد . إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد ومثله قوله عز وجل :(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فهذا ضرب من الدعاء .

والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا .

والضرب الثالث مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا .

---

٩ – حديث صحيح : رواه أبو داود مرفوعا وموقوفاً (٧٩/٢) ح ١٤٨٩ – ١٤٩١ ، ورواه الحافظ الضياء في المختارة موقوفاً . وهو في صحيح الجامع برقم ٦٦٩٤

١٠ – (٥٩٥/٢) ح ٨٧٤

وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله ، يا رب ، يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء [11] . اهـ .

ويُقسّم بعض العلماء الدعاء إلى :

١ – دعاء عبادة .

٢ – دعاء مسألة .

فالأول مثاله الصوم والصلاة وسائر العبادات ، فإذا صلى أو صام فقد دعا ربه بلسان حاله أن يغفر له ، وأن يُجيره من عذابه ، وأن يُعطيه من نوالِه .

ومَنْ صَرَف شيئا من هذا النوع لغير الله فقد أشرك بالله ، وشِركه يُعدّ شركاً أكبر .

والثاني منه ما هو عبادة ، وهو موضوع هذا الكتاب ، وهذا لا يجوز صرفه إلا لله ، فَمَن صَرَفه لغير الله فقد أشرك .

ومنه ما هو ليس من جنس العبادة ، ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام – : مَنْ دعاكم فأجيبوه [12] . وهذا مما يقدر عليه المخلوق ، وفيما يقدر عليه [13] .

والدعاءُ إنما يكون رغبةً ورهبةً خوفاً ورجاءً .

رغبة بما عند الله – جل جلاله – من الثواب العاجل والنعيم المقيم ، ورهبة مما أعدّه لأعدائِه من العذاب المقيم والنَّكال والجحيم .

وقد أثنى الله على أنبيائه فقال : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء : ٩٠] .

وقال – عز وجل – آمراً عباده المؤمنين بذلك : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف : ٥٥ ، ٥٦]

---

١١ – لسان العرب (١٤ / ٢٥٧) .

١٢ – رواه البخاري ح

١٣ – يُنظر لمزيد من البيان : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ العثيمين (١ / ١٢٠ ، ١٢١)

ثانياً : الأمر بالدعاء والحث عليه

أمر الله سبحانه بالدعاء ووعد بالإجابة ، فقال جلّ شأنه : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : ٦٠]

فسمى اللهُ عز وجل الدعاء : عبادة ، كما في الآية السابقة ، وكذلك سمّاه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : ٦٠] [١٤] .

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : الدعاءُ من أعظم الدِّين [١٥] .

وقال ابن منظور – رحمه الله – :

في أسماء الله : المجيب ، وهو الذي يُقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى [١٦] .

وأمر الله – عز وجل – بالدعاء والإخلاص فيه ، فقال سبحانه : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) [الأعراف :٢٩] إذ الدعاء حال الإخلاص أبلغُ في حصول المقصود ، وأقرب إلى انكسار القلب ، وصدق اللجؤ إلى الله سبحانه وتعالى . لذا كانت دعوة المضطر مستجابة : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل :٦٢] .

وفي المسند وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرا ، ففجوره على نفسه [١٧] .

---

١٤ – حديث صحيح : رواه أحمد (٢٦٧/٤) وأبو داود (٧٦/٢) والترمذي (٢١١/٥) وابن ماجه (٢٦٢/٤) والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦) وابن أبي شيبة (٢١/٦) والحاكم (٦٦٧/١) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (١٧٢/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٥ صحيح الأدب) وصححه الألباني في الموضع السابق من صحيح الأدب المفرد .

أما الحديث المشهور : " الدعاء مخ العبادة " فهو حديث ضعيفٌ لا تقوم به حجة ، ومدار إسناده على (ابن لهيعة) وقد اختلط بعد احتراق كتبه ، وتُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٢٧/٣–٢٣٠) .

١٥ – مجموع الفتاوى (٤٧٥/٢٢) .

١٦ – لسان العرب (٢٨٣/١) .

١٧ – (٣٦٧/٢) ورواه ابن أبي شيبة (٤٨/٦) وقال المنذري في الترغيب (١٣٠/٣) : رواه أحمد بإسناد حسن . وقال الهيثمي في المجمع (١٥١/١٠) : رواه أحمد والبزار بنحوه وإسناده حسن . وقال الحافظ في الفتح (٤٢٢/٣) : وإسناده حسن . قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : في إسناده أبو معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي ، وهو ضعيف . =

ألم تر حال المشركين في الجاهلية الأولى كيف يتخلّون عن آلهتهم ويَدْعُون الله مخلصين له الدين وذلك إذا ركبوا في الفلك ، واضطربت بـــهم الأمواج ، كما في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [يونس : ٢٢] .

والمشركون ما كانوا يفزعون لآلهتهم عند الشدائد ، بل كانوا يلجئون إلى الله ، إذ النفوس جُبلت على الالتجاء لله وحده عند حصول المكروه ؛ إلا ما يكون من بعض مشركي زماننا ! فإن ملجأهم ومفزعهم (السيّد) أو (القطب) ، فأبو جهل أفقهُ من هؤلاء !!

تأمّل قول الله تبارك وتعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [لقمان : ٣٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : التوحيد مَفْزَعُ أعدائه وأوليائه ؛ فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها :(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت : ٦٥] ، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع إليه يونس فنجّـــاه الله من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فَنَجَوا بِهِ [١٨] مما عُذِّبَ به المشركون في الدنيا ، وما أُعِدّ لهم في الآخرة ، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعـــه ؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل . هذه سنة الله في عباده . فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد [١٩] .

ولما ذُكِرَ الصيامَ وأحكامه في التنـــزيل العزيز ناسب المقـــام أن يُذكر بعده شأن الدعاء ، إذ الصيام يقترن بالقيام فهما صنوان ، والقيام يتضمن الدعاء ، قال ربنا سبحانه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة : ١٨٦] .

= وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونـــها حجـــاب . رواه أحمـــد (١٥٣/٣) وابن معين في تاريخه (٤٥٨/٤) وفي إسناده عبد الرحمن بن عيسى أبو عبد الله الأسدي ، وهو مجهول . والحـــديث أورده الألبـــاني في صحيح الجامع (برقم ٢٦٨٢) .

١٨ – أي بالتوحيد .

١٩ – الفوائد (ص ٧٩) .

وجاء في سبب نـــزول هذه الآية أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنـــزل الله هذه الآية [٢٠] .

وتمعّن في هذه الآية حيث لم تُجعل الإجابة فيها للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ورد قبلها آيـــات وبعدها آيات سُئل فيها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسئلة جاءته الإجابة مُصدّرة بـــ (قل) : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة :١٨٩] (سْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ) الآية [البقرة : ٢١٥] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) الآية [البقرة : ٢١٩] (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) الآية [البقرة : ٢٢٠]

وغيرها من الآيات ، أما هذه الآية فصُدِّرت بـــ (فَإِنِّي قَرِيبٌ) [٢١] .

وما ذلك إلا لأن الدعاءَ عبادةٌ محضة لا يجـــوز صرفها لغير الله ، وحتى لا يُتوهّم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واسطة بين الخلق والخالق في ذات العبادة ، فجاء الجواب بالتأكيد (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ولم يقل سبحانه وتعالى : فقل ، أي يا محمد . والله أعلم .

---

٢٠ – يُنظر لذلك جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥٨/٢) .

٢١ – وبعد كتابة هذه الأسطر رأيت كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى ، فحمدتُ الله على ما أولى من مِنن .

قال رحمه الله : وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الأحكام أُمـــرَ رسول الله صلى الله عليه على وسلم بإجابتهم ...فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) فلم يقل سبحانه (فقل) بل قال تعالى:(فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .مجموع الفتاوى (٣٣٦/١)

ثالثاً : فضل الدعاء

الدعاء فضله عظيم ، وشأنه جسيم

فبالإضافة إلى أنه عبادة مأمور بها ، مُثاب فاعلها إلا أنه :

١ - يُستدفعُ بـهِ البلاء ، ويُـردُّ بـهِ القضاء

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لاَ يَرُدّ القَضَاءَ إِلاّ الدّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمُرِ إِلاّ البِرّ [٢٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدعاء ينفع مما نـــزل ومما لم ينـــزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء [٢٣] .

٢ - كَرامـة الدعاء على الله دِلالة على فضله

قال – عليه الصلاة والسلام – : لَيْسَ شَيْءٌ أَكْـــرَمَ على اللّهِ سُبْحَانَهُ مِـــنَ الدّعَاءِ [٢٤] .

٣ - وبالدعاء تستمطر الرحمات ، وتُستدفع النقمات

ولذا كان الناس إذا قحطوا خرجوا للمصلى ، وسألوا الله جل وعلا ، وتضرعوا إليه فيسألونه بصدق وإخـــلاص وحسن لجـــاءة إليه ، فيستجيبَ دعائهم ، (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [الشورى : ٢٨] .

وفي الصحيحين من حديث أنسِ بنِ مالكٍ أَنّ رجُلاً دخلَ المسجدَ يومَ جُمعةٍ من بابٍ كان نحوَ بابِ دارِ القضاءِ – ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائمٌ يخطبُ – فاستقبلَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائماً ، ثم قال : يا رسولَ اللهِ . هلَكَتِ الأموالُ ، وانقطَعَتِ السبلُ ، فادعُ اللهُ يُغيثُنا فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدَيهِ ، ثم قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا اللّهمّ أغثنا . قال أَنسٌ : ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعـــةً ، وما بَينَنا وبينَ سَلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ . قال : فطلَعَتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التّرسِ ، فلمّا توسّطَتِ السماءِ انتَشَرتْ

---

٢٢ – رواه أحمد (٥/٢٨٠) وابن ماجه (١/٣٥ ، ٤/٣٦٩) والحاكم (١/٦٧٠) وصححه ، وابن حبان (٣/١٥٣إحسان) كلهم من حديث ثوبان . وحسنه العراقي كما في مصباح الزجاجة وهو كما قال . وله شاهد من حديث سلمان رواه الترمذي (٤/٤٤٨) .

٢٣ – رواه من حديث ابن عمر : الترمذي (٥/٥٥٢) والحاكم (١/٦٧٠) وصححه ، وقال الحافظ في الفتح (١١/٩٥) : وفي سنده لين وقد صححه – مع ذلك – الحاكم . وله شاهد من حديث معاذ : أخرجه أحمد (٥/٢٣٤) . وله شاهد ثان من حديث عائشة : رواه الحاكم (١/٦٦٩) والطبراني في الأوسط (٣/٦٦) .

٢٤ – رواه أحمد في المسند (٢/٣٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٥ صحيح الأدب) والترمذي (٥/٤٢٥) وابن ماجه (٤/٢٦٢) والحاكم (١/٦٦٦) وقال : صحيح الإسناد ، وابن حبان (٣/١٥١ إحسان) . وهو حديث حسن .

ثم أمطرَتْ ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سبتاً [٢٥] ، ثمّ دَخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ في الجُمعةِ المُقبلة – ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم قائمٌ يَخطب – فاستقبلَهُ قائماً فقال :يا رسولَ اللهِ هَلكَتِ الأموالُ ، وانقطَعتِ السبُلُ ، فادعُ اللهَ يُمسكها عنا ! قال فرفعَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم يديهِ ثم قال : اللّهمّ حَوالَينا ولا علينا . اللّهمّ عَلَى الآكامِ والظرابِ وبُطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشجر . قال : فأَقلعَتْ ، وَخرجْنا نمشي في الشمسِ [٢٦] .

٣ - وبالدعاء يُستخرج مكنون عبودية الدعاء والتضرع لله سبحانه والذلّ بين يديه

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم : من لم يَدْعُ اللهَ غضب اللهُ عليه [٢٧] .

وما ذلك إلا لأن العبد مفتقر إلى اللهِ في جميع أحوالــه ، فمن ترك الدعــاء فقد استغنى عن اللهِ بلسان حاله ، وهذا موجبٌ لغضب اللهِ عليه .

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَه وبُنيّ آدمَ حينَ يُســألُ يغضبُ

ولذا كانت عائشة – رضي اللهُ عنها – تقول : سلوا اللهَ التيسير في كل شيء ، حتى الشسع في النعل ، فإنه إن لم يُيسره اللهُ لم يتيسر [٢٨] .

قال بكر بن عبد اللهِ المزنى : ينــزل بالعبد الأمر فيدعو اللهَ فيُصرف عنه ، فيأتيه الشيطــان فيضعف شكره يقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه [٢٩] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللهُ – : قال بعض السلف : يا ابن آدم . لقد بُورِك لك في حاجة أكْثَرْتَ فيها مِنْ قَرْعِ باب سيِّدك .

---

٢٥ – أي : أسبوعاً كاملاً . وفي رواية للبخاري (ستّــاً) . وانظر – غير مأمور – فتح الباري (٢/٥٨٥) .

٢٦ – رواه البخاري في كتاب الاستسقاء . باب الاستسقاء في المسجد الجامع ، وفي باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (٢/١٦) ومسلم في كتاب الاستسقاء (٢/٦١٢) .

٢٧ – رواه (٢/٤٤٣) وفي الترمذي (٥/٤٥٦) وفي الأدب المفرد (ص ٢٤٦ صحيح الأدب) وعند ابن ماجه (٤/٢٦١) . وهو حديث حسن

٢٨ – رواه أبو يعلى في المسند (٨/٤٤) وابن أبي عاصم في الزهد (ص ٢٠٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢) واللفظ لــه . وأورده الألباني في الضعيفة (٣/٥٤٠ ح ١٣٦٣) وعزاه لأبي يعلى وقال : وهذا سند موقوف جيد ، رجاله رجال مسلم .. والشسع هو سير النعل .

٢٩ – نقله عنه ابن القيم – رحمه الله – في عِــدة الصابرين (ص ١٠٥) .

وقال بعض الشيوخ : إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه ، فيفْتَح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبّ معه أن يُعجّل قضـــاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك ؛ لأن النفس لا تـــريد إلا حظّهـــا فـــإذا قُـــضْيَ انْصَرَفَتْ [٣٠] .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

فإذا كان كلُّ خيرٍ أصله التوفيق ، وهو بيـــد الله لا بِيَـــدِ العبـــد ، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصِدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه ، فمتى أَعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح لـــه ... وما أُتي من أُتي ، إلا من قِبل إضاعةِ الشكر وإهمالِ الافتقار والدعاء ، ولا ظَفِرَ من ظَفِر – بمشيئة الله وعونه – إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء [٣١] .

وقال أيضا :

ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبّد لـــه ، ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه ، إنما العجب من مالك يتحبّب إلى مملوكـــه بصنوف إنعامـــه ويتودد إليه بأنواع إحسانه ، مع غناه عنه

كفى بك عزّاً أنك له عبد وكفى بك فخراً أنه لك رب [٣٢] .

وقال ابن رجب – رحمه الله – : واعلم أن سؤالَ اللهِ تعالى دون خلقه هو المتعيّن ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقـــدرة المسؤول على دفـــع هذا الضرر ، ونيـــلِ المطلوب ، وجلـــبِ المنافع ، ودرء المضارّ ، ولا يصلح الذل والافتقار إلا الله وحده ، لأنه حقيقة العبادة [٣٣] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الدعـــاء هو إظهـــار غـــاية التذلل والافتقار الى الله والاستكانة له ، وما شُرِعَتْ العبادات الا للخضوع للباري وإظهار الافتقار اليه [٣٤] .

---

٣٠ – مجموع الفتاوى (٣٣٣/١٠) .

٣١ – الفوائد (ص ١٣٠) .

٣٢ – الفوائد (ص ٦٣) .

٣٣ – جامع العلوم والحكم (٤٨١/١) .

٣٤ – فتح الباري (٩٨/١١) .

٤ - (ومما يدل على فضله) أن الله يُحب الدعاء ، ويُحب الملحِّين فيه

كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو الله كثيرا ، ويُلحّ في الدعاء .

روى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال – وهو في قُبَّـــةٍ لـــه يوم بدر – : أنشدك عهدك ووعدك . اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً . فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك [٣٥] .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ألِظُّـــوا بـــيا ذا الجـــلال والإكرام [٣٦] .

قال ابن الأثير : معنى ألِظوا : إلزموه ، واثبتوا عليه ، وأكثروا من قوله والتلفظ به ... وفي حديث رَجْم اليهودي ، فلمَّا رآه النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألَـــظَّ به النِّشْدَة . أي ألَحَّ في سُؤاله وألزمَه إيَّاه [٣٧] .

وقد أثنى الله على خليله إبراهيم بأنه أوّاه (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة:١١٤] .

قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : الأواه : الذي يُكثر الدعاء [٣٨] .

قال ابن رجب : والله سبحانه يحبُّ أن يُسأل ، ويُرغبُ إليه في الحـــوائج ، ويُلحُّ في سؤاله ودعائه ، ويغضب على من لا يسأله ، ويستدعي من عباده سؤالَه ، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، والمخلوق بخلاف ذلك ، يكره أن يسأل ويحب أن لا يسأل ؛ لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا قال وهب بن منبه – لرجل كان يأتي الملوك – : ويحك تأتي من يغلق عنك بابَه ، ويظهر لك فَقْرَه ، ويواري عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ، ويظهر لك غناه ، ويقول ادعني أستجب لك . وقال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ، ويجعل دونـــها حجّابَه ، وعليك بمن بابُه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسألَهُ ، ووعدك أن يجيبَك [٣٩] .

---

٣٥ – رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقميص في الحـــرب ... (٢٣٠/٣) وفي مواضع أُخَـــر .

٣٦ – سيأتي تخريجـــه بعون الله وتوفيقه .

٣٧ – النـــهاية في غريب الحديث (٢٥٢/٤) .

٣٨ – رواه عنه ابن أبي شيبة (٣٢٩/٦) وابن جرير في التفسير (٤٧/١١ – ٥١) ، وروى غيره من الأقوال ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زِرّ : أنه الدَّعَّـــاء . وقارن بما في صحيح البخاري (٢١٢/٥) .

٣٩ – جامع العلوم والحكم (٤٨١/١) .

٥ - بالدعاء تُفرّجُ الشّدّائد ، وتُنفّسُ الكُرب

فكم سمعنا عمن أُغلقت في وجهه الأبواب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم طَــرَقَ باب مسبب الأسباب ، وألحّ على الله في الدعــاء ، ورفع إليه الشكوى ، وبكى ففُتِحَتْ له الأبواب ، وانفرج ما به من شِدّة وضيق .

ألم تسمع قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا غــاراً فأغْلَقَتْ عليهــم الباب صخــرةٌ عظيمة ، فما كان منهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالِهم وأخلصِها ، فانفرجت الصخرةُ وخرجوا يمشون [٤٠]

٦ - وبالدعاء يُستنـزلُ النصر من الله العلي القدير

فالمؤيد بالوحي – عليه الصلاة والسلام – كان يجتهد في استنــزال النصر بالدعاء .

فعن عَبْد اللّهِ بْن عَبّاسٍ قال : حَدّثَني عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب قال : لَمّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلَىَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَــذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّىَ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَ هُ فَأَلْقَاهُ عَلَىَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللّهِ كَــذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ [٤١] **فَإنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْــزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال :٩]** [٤٢]

فاستجاب الله دعاء نَبيِّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونصره على أعدائه .

وسيأتي مزيد بيان لهذا الحديث في أكثر من موضع ، وسيأتي تخريــجه .

وذكر الله في صفــات عباد الرحمــن أنــهم يدعــونه بقولهم : (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان : ٧٤] .

---

٤٠ – انظر – غير مأمور – قصة الثلاثة في صحيح البخاري . كتاب الإجارة . باب من استأجر أجيراً فترك أجره ... (٥١/٢) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٩/٤) من حديث ابن عمر – رضي الله عنه – .

٤١ – وفي رواية لمسلم (كفاك مناشدتك ربك) ، وهي كذلك في المسند (٣٢/١) وغيره ، ويُنظر شــرح النووي على مسلم (٤٣٤/١٢) .

٤٢ – رواه البخاري . كتاب المغازي .باب قول الله تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) ... الآيات (٤/٥). ومسلم . كتاب الجهاد والسير (١٣٨٤/٣)

وختم الســـورة بقوله : (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ) [الفرقان : ٧٧]
يعني : أيّ عبء يعبأ بكم ، وأيّ مبالاة يُبالي ربي بكم لولا دعاؤكم وعبادتُكم [٤٣] .

٧ - والدعاء سلاح المؤمن ، به يُقاتِل ، وبه يُدافع

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجتهد في الدعــاء قبل الحــرب ، كما في حديث ابن عباس ، المتقدم آنفاً .

وكان المسلمون إذا أرادوا القتال يوم الجمعة أخّروا بدء القتال حتى تــزول الشمس ، ويصعد الأئمة المنابر ، ويدعون للمجاهدين بالنصر .

قال الإمام البخاري : باب كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخّــرَ القتال حتى تزول الشمس [٤٤] ثم أورد تحته حديث عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنه –

قال عبد الله بن أبي أوفي – رضي الله عنهما – : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيبا قال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم مُنــزِل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

وعن النعمان بن مقرن – رضي الله عنه – قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه على وسلم ، فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قاتل ، فإذا انتصف النهار امسك حتى تــزول الشمس ، فإذا زالــت الشمس قــاتل حتى العصر ، ثم أمسك حتى يُصلي العصر ، ثم يُقاتل . قــال : وكان يُقــال عند ذلك تــهيج رياح النصــر ، ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتــهم [٤٥] .

---

٤٣ – ويُنظر لذلك تفسير القرطبي (٨٤/١٣) ، وذكر ابن جرير (٥٥/١٩) أقوالاً أخرى ، فليُراجع .

٤٤ – صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير (٩/٤) ، وحديث عبد الله بن أبي أوفى الآتي في الموضع نفسه .

٤٥ – رواه – مختَصَراً – أحمد (٤٤٤/٥) وأبو داود (٤٩/٣) والنسائي في الكبرى (١٩١/٥) دون الجملة الأخيرة منه ، وهو بتمامه في جامع الترمذي (٤/ ١٥٩) وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث عن النعمان بن مقرن بإسناد أوصل من هذا ، وقتادة لم يدرك النعمان بن مقرن ، ومات النعمان بن مقرن في خلافة عمر .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : قد رواه من تقدّم ذكرهم من غير طريق قتادة عدا الترمذي ، فإنهم رووه عن معقل بن يسار أن النعمان بن مقرن قال . فَذَكَرَه .

تنبيه : وقع في بلوغ المرام (ح ١٢٩٦) عن معقل بن النعمان بن مقرن – رضي الله عنه – .

وفي رواية قال : شهدت القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا لم يُقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح ، وتحضر الصلوات [٤٦]

٨ - والدعاء سهامُ الليل ، وهي سهامٌ لا تُخطئ

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – :

أتـــهزأُ بالدعـــاء وتَزْدَرِيـــه وما تدري بمـــا صنع الدعاء

سهامُ الليل لا تُخطئ ولكن لها أمـــدٌ وللأمـــدِ انقضـــاء

فيمسكها إذا ما شـــاء ربي ويرسلها إذا نَفَـــذَ القضـــاء

قال ابن القيم : والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يُدافعه ويعالجه ، ويمنع نزولَه ، ويرفعه أو يُخَفِّفه إذا نـــزل ، وهو سلاح المؤمن ...

وله – أي الدعاء – مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ، فيُصاب به العبد ، ولكن قد يخففه ، وإن كان ضعيفـــا .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه [٤٧] .

٩ - والدعاء من أعظم أسباب الهداية

ولذا كان من دعائه – عليه الصلاة والسلام – : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغـــنى [٤٨] .

وعلّم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبطه الحسن بن عليّ – رضي الله عنهما – أن يدعو بـــهذا الدعاء في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت [٤٩] .

وتعقبه الصنعاني في السبل (٢٥٩/٧) بقوله : فما أظن لفظ معقل إلا سبق قلم ، والشارح وقع له أنه قال : هو معقل بن النعمان بن مقرن المزني ، ولا يخفى أن النعمان هو ابن مقرن ، فإذا كان له أخ فهو معقل بن مقرن لا ابن النعمان . قال ابن الأثير : إن النعمان هاجر ومعه سبعة إخوة لـــه . يُريد أنهم هاجروا كلهم معه ، فراجعت التقريب للمصنف ، فلم أجد فيه صحابيا يُقال له : =

= معقل بن النعمان ، ولا ابن مقرن بل فيه النعمان بن مقرن ، فتعيّن أن لفظ معقل في نسخ بلوغ المرام سبق قلم ، وهو ثابت فيما رأيناه من نسخه . انتهى كلامه .

قلت : السبب في ذلك أنه من رواية معقل بن يسار عن النعمان بن مقرن . فلعله خطأ من النُسّاخ .

٤٦ – أخرجه البخاري . كتاب الجزية والموادعة . باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ... (٦٣/٤) .

٤٧ – الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (١٠ ، ١١) .

٤٨ – رواه مسلم من حديث ابن مسعود . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٨٧/٤) .

قال ابن القيم : العجـــب ممن تعرض له حاجـــة فيَصرف رغبته وهمَّته فيها إلي الله ليقضيها له ، ولا يتصدّى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض ، وشفائه من داء الشهوات والشبهات ، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته [٥٠] .

وفوائدُ الدُّعاء عظيمة لمن تأملها .

ولكن أين مَنْ يمـــدّ يديـــه ؟

---

٤٩ – حديث صحيح : رواه أحمد (١٩٩/١) أبو داود (٦٣/٢) والترمذي (٣٢٨/٢) والنسائي (٢٧٥/٣) وابن ماجه (٤٩/٢ ، ٥٠) وابن خزيمة (١٥١/٢) وابن حبان (٢٢٥/٣ إحسان) والحاكم (١٠٨/٣) وصححه على شرط الشيخين .

٥٠ – الفوائد (ص ١٤٧) .

رابعاً : كيف يكون الدعاء مستجاباً ؟

ثمّــة أمور وآداب وأحوال ليست واجبة كلّها ، فمنها ما هو واجب ، ومنها ما هو مسنون مستحبّ ، ومنها ما هو واجب التّرك .

فإذا تأدّب العبد بآداب الدعاء كان ذلك أحرى وأدعى للإجابة .

ومن آداب الدعاء :

١ - الإخلاص لله تبارك وتعالى

قال الله – عز وجل – : (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [الأعراف:٢٩]

وقال – جل جلاله – :(هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [غافر:٦٥]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي موحدين له مُقِرِّين بأنه لا إله إلا هو [٥١] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وقد دلّــت الآية المذكــورة أن الإجــابة مشترطــة بالإخــلاص [٥٢] .

والإخلاص في اللغة ترك الرياء في الطاعة .

وعرفاً تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه ، وكل ما يتصور أن يشوب غيره [٥٣] .

فيستلزم الإخلاص في الدعاء تعلّق القلب بالله والافتقار إليه ، واستشعار أنه لا غنى لــه طرفة عين عن مولاه .

وسيأتي لاحقا – إن شاء الله – أن الدعاء لا يُستجاب من قلب غافلٍ لاهٍ ، وأن على الداعي أن يعزم المسألة .

قال ابن القيم – رحمه الله – : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار ، والضب والحوت ، فإذا حدّثتك نفسك بطلب الإخلاص

---

٥١ – تفسير القرآن العظيم (٨٨/٤)

٥٢ – فتح الباري (٩٨/١١)

٥٣ – يُنظر لذلك النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦١/٢) ولسان العرب لبن منظور(٢٦/٧) والتعريفات للجرجاني (٢٨/١) والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٣/١)

فأقْبِلْ على الطمع أولاً فأذبحه بسكين اليأس ، وأقْبِل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص ، فإن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه الا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه وأما ازهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمة ويشين الا الله وحده [٥٤] .

٢ - رفع اليدين

روى مسلم من حديث أنس – رضي الله عنه – قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرفعُ يديه في الدعاء ، حتى يُرى بياضُ إبطيه [٥٥] .

وهذا يدلّ على شدة رفع اليدين في الدعاء .

وفي حديث أبي موسى قال : ثم رفعَ يدَيهِ فقال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ أبي عامر ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه [٥٦] .

وعن مَالِكِ بنِ يَسَارٍ السّكُونِيّ ثُمّ الْعَوْفِيّ أَنّ رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ بِبُطُونِ أكُـفِّـكُمْ ، وَلاَ تَسْأَلُـوهُ بِظُهُورِهَـا [٥٧] .

---

٥٤ – الفوائد (١٨٧ ، ١٨٨)

٥٥ – كتاب صلاة الاستسقاء (٦١٢/٢) .

ورواه البخاري . كتاب الاستسقاء . باب رفع الإمام يده في الاستسقاء ، ولفظه عنده : لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ، وإنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه .

وسيأتي في حديث أبي موسى خلاف ذلك ، فيُقال في ذلك : إن أنساً – رضي الله عنه – حدّث بما علِم ، وأبو موسى – رضي الله عنه – حدّث بما علِم .

قال الحافظ ابن حجر – بعد أن أشار إلى بعض الأحاديث الواردة في رفع اليدين – : فيتعين حينئذ تأويل حديث أنس أنه أراد الرفع البليغ بدليل قوله : "حتى يُرى بياض إبطيه " (التلخيص الحبير ٢٥١/١) .

٥٦ – سيأتي بتمامه ويأتي تخرجه أيضا .

٥٧ – حديث حسن : رواه أبو داود (٧٨/٢)والطبراني في مسند الشاميين (٤٣٢/٢)وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤١٠/٤) وأما حديث " اذا سألتم الله فسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها ، وامسحوا بها وجوهكم " فقد قال فيه أبو داود بعد أن رواه (٧٨/٢) : روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية وهذا الطريق أمثلها وهو ضعيف أيضا ، وأشار البيهقي في السنن الكبرى (٢١٢/٢) إلى ضعفه بعد أن نقل قول أبي داود ، وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٥١/٢) : هذا حديث منكر .

وفي حديث أنس وقصة دخول الأعرابي قال : فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدَيهِ ثم قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا . اللهمّ أغثــنا [٥٨] .

وفي صحيح مسلم من حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي و) [إبراهيم : ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام : (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة : ١١٨] ، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى ، فقال الله – عز وجل – : يا جبريل اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فَسَلْــهُ ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل – عليه الصلاة والسلام – فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما قال – وهو أعلم – ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك [٥٩] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها استحباب رفع اليدين في الدعاء ... [٦٠] .

وعن أَبي هُرَيْرَةَ قال : أَقْبَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَدَخَلَ مَكّةَ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمّ طَافَ بالْبَيْتِ ، ثُمّ أَتَى الصّفَا فَعَلاَهُ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَى الْبَيْتِ فَرَفَعَ يَدَيْــهِ فَجَعَلَ يَذْكُرُ الله – عز وجل – مَا شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَدْعُوهُ [٦١] .

وتقدّم حديث عمر رضي الله عنه – في صفةِ دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر – وفيه : فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ

---

٥٨ – تقدم بتمامه ص ١٠

٥٩ – كتاب الإيمان (١٩١/١) وهذا لفظه عند مسلم دون سقط . قال الإمام النووي – رحمه الله – : وقال عيسى صلى الله عليه وسلم :(إن تعذبهم فانهم عبادك) هكذا هو في الأصول " وقال عيسى " قال القاضي عياض : قال بعضهم قوله : قال ، هو اسم للقول ، لا فعل . يُقال : قال ، وقيلا ، كأنه يقال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضي عياض . المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (٤٣٨/٣)

٦٠ – المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٣٨/٣)

٦١ – حديث صحيح : رواه أحمد (٥٣٨/٢) وأبو داود (١٧٥/٢) وابن خزيمة (٢٣٠/٤) .

أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَـــذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ [٦٢] .

ولرفع اليدين فائدة عظيمة ، حيث يستحي ربُّك أن يردّهما صفرا . فقد ثبت من حديث سلمان – رضي الله عنه – أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إنّ رَبّكُمْ تَبَارَكَ وتعَالى حَيِيّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدّهُما صِفْراً خائبتين [٦٣] .

والأحاديث في رفع اليدين عند الدعاء بلغت حد التواتر المعنوي .

٣ ـ الوُضوء لمن أراد الدعاء

الوضوء لمن أراد الدعاء مُستحب ، وهو من آداب الدعاء .

فعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال : لما فَرَغَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حُنين بَعثَ أبا عامر على جيشٍ إلى أوطاس فلقيَ دُرَيدَ بن الصّمّة ، فقُتِلَ دُرَيدٌ ، وهَزَمَ اللّهُ أصحـــابه . قال أبو موسى : وَبَعثني [٦٤] مَعَ أبي عامر ، فرُميَ أبو عامرٍ في ركبتِهِ ، رَمَاه جُشَميّ بسهمٍ فأثبَتَهُ في رُكبتِهِ ، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عـــمّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى ، فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فَقَصَدتُ له فلحِقته ، فلما رآني وَلّى ، فاتّبَعْـــتُه ، وجعلت أقولُ له : ألا تَستحي ! ألا تثبت فكفّ ، فاختَلفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُهُ ، ثم قلتُ لأبي عامر : قَتَل اللّهُ صاحبَك . قال : فانزع هذا السهمَ فنـــزَعتُه فنـــزا منهُ الماء [٦٥] قال : يا ابنَ أخي أقرئ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم السلامَ ، وقُلْ لـــه : استغفِـــرْ لي . واستَخلَفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكثَ يسيراً ثم مـــات ، فرجَعتُ فدخلت على النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيتِهِ على سريرِ مُرمَلٍ [٦٦] وعليه فِراشٌ قد أثّرَ رِمالُ السريرِ في ظهرِهِ وَجَنبَيه ، فأخبرتُهُ بخبرِنا وخبرِ أبي عامر . وقلت لـــه : قال : قُل لـــه يستغفرْ لي ، فدَعا بماءٍ فتوضّأَ ، ثم رفعَ يدَيهِ ثم قال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ [٦٧] أبي عامر ، ورأيتُ

---

٦٢ – تقدم الحديث بتمامه وتخريجه ص ١٤

٦٣ – حديث حسن : رواه الإمام أحمد (٤٣٨/٥) والترمذي (٥٥٦/٥) وحسّنه ، وأبو داود (٧٨/٢) وابن ماجه (٢٨٢/٤) وابن حبان (١٦٠/٣) ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٣/١١) : سنده جيد .

٦٤ – أي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

٦٥– أي جرى ولم ينقطع .

٦٦ – أي منسوج ومسفوف .

٦٧ – هو عبيد بن سليم بن حضار الأشعري ، وهو عم أبي موسى – رضي الله عنهما – أفاده ابن حجر . (فتح الباري ٤٢/٨)

بياضَ إبطيْه [٦٨] ثمّ قال : اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس ، فقلتُ : وَلِي فاستغفرْ فقال : اللهمّ اغفر لعبدِ اللّهِ بن قَيس [٦٩] ذَنْبَه وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريماً .

قال أبو بُردَةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى [٧٠] .

٤ - استقبال القبلة

عن جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ – رضي الله عنه – في صفة حجة الوداع – قال : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ... قال : ثُمّ ركبَ [٧١] القصواء [٧٢] حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ واستقبلَ القبلةَ فدعا اللّهَ وكبّرَهُ وهلّلَهُ ووحّدَهُ ، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً [٧٣] .

وهذا في أعظم مواطن الدعاء ، في عرفة وعند المشعر الحرام .

وعن عبّادِ بنِ تميم عن عمّهِ قال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم خَرجَ يَستسقي قال : فحوّلَ إلى الناسِ ظهرَهُ واستَقبلَ القِبلةَ يدعو [٧٤] .

وفي صفة دعاء النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر : فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ [٧٥] .

---

٦٨ – وهذا يدل على شدة رفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه ، وانظر – غير مأمور – (ص ٢٧) من هذا الكتاب .

٦٩ – هذا اسم أبي موسى الأشعري ، وهو – رضي الله عنه – قد اشتهر بلقبه :(أبي موسى الأشعري) ، وأبو بردة ابنه الراوي عنه

٧٠ – رواه البخاري . كتاب المغازي. باب غزاة أوطاس (١٠١/٥) ومسلم .كتاب فضائل الصحابة (١٩٤٣/٤) .
وقول أبي بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى . يعني إحدى الدعوتين لأبي عامر ، وهي " اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس " ، والأخرى لأبيه أبي موسى ، وهي " اللهمّ اغفر لعبدِ اللّهِ بن قَيس ذَنْبَه ، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريماً " .

٧١ – أي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

٧٢ – هذا اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهي غير العضباء ، فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أنَس – رضي الله عنه – قال : كانت ناقةُ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُقالُ لها العَضْباءُ .

٧٣ – رواه مسلم . كتاب الحج (٨٩١/٢) .

٧٤ – رواه البخاري .كتاب الاستسقاء . باب كيف حوّل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظهره إلى الناس (٢٠/٢) ومسلم كتاب صلاة الاستسقاء (٦١١/٢) .
وعباد بن تميم يروي عن عمه ، وعمه هو : عبد الله بن زيد بن عاصم المازني – رضي الله عنه – .

٧٥ – تقدم الحديث بتمامه وتخريجه (ص ١٥) .

٥ ـ البدء بالثناء على الله ، ثم الصلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء

عن عبدِ الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كُنْتُ أُصَلّي والنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه ، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله ، ثم الصّلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم دَعوْتُ لنَفْسِي ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : سَلْ تُعْطَهْ . سَلْ تُعْطَهْ [٧٦] .

وعن فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ صَاحِب رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : سَمِعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجّدِ الله وَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عَجِلَ هَذَا . ثُمّ دَعَاهُ فَقَالَ – لَهُ أوْ لِغَيْرِهِ – : إذا صَلّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمّ يُصَلّي عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شاء [٧٧] .

٦ ـ التضرع والإخبات لله جل وعلا ، والانكسار بين يديه

قصّ الله تبارك وتعالى خبر أيوب – عليه الصلاة والسلام – فقال : (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) [الأنبياء:٨٣–٨٤] .

وقد سُئل ابنِ عباسٍ عن استسقاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إن رسولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَرَجَ مُتَبَذّلاً مُتَوَاضِعاً مُتَضَرّعاً ، حتى أَتَى المُصَلّى ، فلم يَخْطُبْ خُطْبَتكم هذِهِ ، ولكن لم يزَل في الدعاءِ والتَضَرّعِ والتكبيرِ ، وصلّى ركعَتْينِ كما كانَ يصَلّي في العيدِ [٧٨] .

ومِن هُنا اختلف خروجه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لصلاة الاستسقاء عن خروجه لصلاة العيد ؛ لأن المقام – في الاستسقاء – مقام تذلل لا مقام تجمّل ، ومقام الدعاء في عرفة مقام تخشّع وتذلل ، بينما يوم العيد يوم فرح وتجمّل .

---

٧٦ – حديث حسن : رواه الترمذي (٤٨٨/٢) وقال : حسنٌ صحيحٌ والحافظ الضياء في المختارة (٩٣/١) ، وأخرجه بنحوه : الإمام أحمد (٣٨٦/١) وابن خزيمة (١٨٦/٢) وابن حبان (٣٠٣/٥ إحسان) والحاكم (٢٤٦/٢) والنسائي في الكبرى (٧١/٥)

٧٧ – حديث صحيح : رواه أحمد (١٨/٦) وأبو داود (٧٧/٢) والترمذي (٥١٧/٥) وابن خزيمة (٣٥١/١) والحاكم (٣٥٤/١) وصححه على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان (٢٩٠/٥ إحسان) .

٧٨ – حديث حسن : رواه أحمد (٣٥٥/١) وأبو داود (٣٠٢/١) والترمذي (٤٤٥/٢) وقال :حسنٌ صحيحٌ .والنسائي (١٥٦/٣)

ويدخل في التذلّل : فعل بعض السلف عند خروجهم للاستسقـــاء ، فقد كان بعضهم يـــحثو التراب على رأســـه ، ويخرج متخشّعـــاً .

أو يضع التراب على رأسه عند الدعاء تخشعا وتذللاً .

فعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال : لما طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فَوَضَعَ التراب على رأسه وجعل يقول : ما يعبأ الله بعمر بعد هذا . فنـــزل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر [٧٩] .

٧ ـ الاعتراف بالذنب :

الاعتراف بالذّنب أقرب إلى العفو ، ومن تأمل كتاب الله وجد إجابة دعـــوات بعض الأنبياء قُرِنت بالاعتراف بالذنب .

فهذا أبو البشر – عليه الصلاة والسلام – وزوجه يعترفان : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف : ٢٣]

ويأتي الجواب : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) [طه : ١٢٢]

وذاك نبي الله داود الذي استغفر (رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) قال الله جل جلاله : (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) وزيادة (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) .

وذاك ابنه سليمان الذي تاب وأناب (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)

فوهب له ربُّـــه ملكا عظيما ، وسخّر له الريح ، والجن ، والطير .

وذاك القوي الأمين قال بعد أن قتل نفساً قال : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [القصص : ١٦]

ودعوة ذي النون إِذْ دَعَـــا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ تضمنت الإقرار والاعتراف ، قال سبحانه : (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

---

٧٩ – رواه بهذا اللفظ : أبو نُعيم في الحلية (٥١/٢) ورجاله ثقات غير موسى بن عُلَيّ بن رباح فهو صدوق ، وجعفـــر بـــن أحمـــد الخولاني لم أقف له على ترجمة ، وأما قصة تطليقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لِحفصة – رضي الله عنها – ومُراجعته إياها ، فهـــي ثابتة ، كما عند أبي داود (٢٨٥/٢) والنسائي (٢١٣/٦) وابن ماجه (٦٥٠/١) عن عمر – رضي الله عنه – .

كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) والجواب : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) وزيادة (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) وهذه عادة الله في أوليائه (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء ٨٧ ، ٨٨]

فنجاه مولاه سبحانه ، وصارت دعوته نبراساً للمؤمنين .

فعن سَعْد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : قَال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : دَعْوَةُ ذِي النّونِ – إذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ – : لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ ، فَإنّهُ لَمْ يَدْعُ بـــها رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطّ إلاّ اسْتَجَابَ الله لَـــهُ [٨٠] .

ونادِ إذا سجدتَّ له اعترافـــاً بمـــا ناداه ذا النون بن متّى

تأمل في مناجاةَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام ، وهو يُناجي ربّه في دُجى الليل الساكن .

فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام إذا قام يتهجّد من الليل أن يقول – بعد أن يُثني على الله عز وجلّ بما هو أهلُه – :

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر . لا إله إلا أنت [٨١] .

ثم تأملوا هذا الدعاء من أدعيته عليه الصلاة والسلام ، وهو يقول :

اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي [٨٢] .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده :

اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دِقَّـــه وجِلَّه ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [٨٣]

وفي هذا الدعاء الاعتراف بالذنب ، مع أنه – عليه الصلاة والسلام – قد غُفِر له ما تقدّم مِن ذَنبه وما تأخّـــر .

وقد تقدّم تعليمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي بكر دعاءً يدعوا به في صلاته ، وفيه هذا المعنى [٨٤] .

---

٨٠ – حديث صحيح : رواه أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٥٢٩/٥) والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦) والحاكم (٦٨٤/١) وصححه ، والضياء في المختارة (٢٣٤/٣) وصححه . وقال الهيثمي في المجمع (٦٨/٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غـــير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة . وفي الحديث قصة ، فلتُنظر في المسند والمختارة – في الموضعين السابقين – .

٨١ – متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص ٢٦) .

٨٢ – هذا اللفظ هو أول حديث أبي موسى – رضي الله عنه – والحديث متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص ٢٦) .

٨٣ – رواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٥٠/١) .

٨٤ – انظر – غير مأمور – (ص ٢٦) من هذا الكتاب .

قال سبحانه وبحمده : (وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران : ١٥ – ١٦]

فهذا توسّـــلٌ بالعمل الصالح وهو الإيمان بالله ، واعتراف بالذنب ، وختمـــه بالدعاء بالنجاة من عذاب النار .

وكما قيل : سكب العبرات يُقيل العثرات .

فـــ :

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم ارعـــوى ثم انتهى ثم اعترف

أبشـــر بقـــول الله في آياتـــه : (إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ)

٨ - اليقين بالإجابة مع حضور القلبِ

القلب هو ملِك الأعضاء ، ولا بُـــد من حضوره عند سؤال ملِك الملوك سبحانه وتعالى .

وإذا لم يحضر القلب كان الدعاء نوع من العبث .

فعن أبي هُرَيْرة – رضي الله عنه – قال : قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اُدْعُوا الله وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإجَابَـــةِ ، وَاعْلَمُـــوا أَنّ الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ [٨٥] .

وبذلك يتبين لك عبث بعض الناس الذين يرفعون أيديهم وقلوبـــهم لاهية ، فيرفع أحدُهم يديه ويلتفت يميناً وشمالاً ، ولا يَـــعِـــي ما يقول ، وبعضهم اتخذ رفع يديه بعد النافلة وقبل الفريضة عادة ، حتى يرفع بعضهم يديه ولا يقول شيئاً !

قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : لا يسمعُ اللهُ من مسمِّع ، ولا مـــراءٍ ، ولا لاعِـــبٍ ، إلا داعٍ دعـــا يُثبت من قلبه [٨٦] .

أي يسمعُ الله دعـــاءه .

قال مالك بن الحارث : كان ربيع يأتي علقمة . قال : فأتاه ولم يكن ثمة ، فجاء رجل فقال : ألا تعجبون من الناس وكثرة دعائهم وقلة إجابتهم ؟ فقال ربيع : تدرون لم ذاك ؟ إن الله لا يقبل إلا

---

٨٥ – حديث حسن : رواه والترمذي (٥١٧/٥) والطبراني في الأوســـط (٢١١/٥) والحاكـــم (٦٧٠/١) وقال : مستقيم الإسناد .

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو : رواه أحمـــد (١٧٧/٢) ، وقال الهيثمي (١٤٨/١٠) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وفي إسناد أحمد ابن لهيعة ، والحديث حسن بمجموع طرقه .

٨٦ – حديث صحيح موقوف رواه البخاري في الأدب المفرد ، وقال الألباني : صحيح الإسناد . صـــحيح الأدب المفـــرد (ص ٢٢٧).

الناخلة من الدعاء ، والذي لا إله غيره لا يسمع الله من مُسمِّع ولا مرائي ولا لاعب ولا داع إلا داعٍ دعا بتثبت من قلبه [٨٧] .

قال يحيى بن معاذ : من جَمَعَ الله عليه قلبَه في الدعاء لم يردّه .

قال ابن القيم معلّقاً على قوله : إذا اجتمع عليه قلبُه ، وصدقت ضرورتُه وفاقتُه ، وقوي رجاؤه ، فلا يكادُ يُردُّ دعاؤه [٨٨] .

٩ ـ ختم الدعاء بما يناسب الحال

وذلك كأن تدعو الله – عز وجل – أن يرزقك رزقاً حسنا فتَخْتِم دعائك بنحو قولك : يا رزاق يا ذا القوة المتين .

وعند طلب المغفرة تختم الدعاء بنحو : ياغافر الذنب ، أو ياغفّار أو يا غفور يا رحيم ، وهكذا

ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني . أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، وأنت علىكل شيء قدير [٨٩] .

ولما سأل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ اللّه علمني دُعاءً أَدعو به في صلاتي قال : قل : اللهمّ إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يَغفرُ الذّنوبَ إلا أنتَ فاغفِرْ لي مغفرةً من عندَك وارحمني إنكَ أنتَ الغفور الرّحيم [٩٠] .

---

٨٧ – رواه ابن أبي شيبة (٣٤/٦) ، وهي رواية البخاري في الأدب المفرد ، حيث جاء فيها : مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال :كان الربيع ياتى علقمة يوم الجمعة فإذا لم أكن ثمة أرسلوا إليّ ، فجاء مرة ولست ثمة ، فلقيني علقمة وقال لي : ألم تر ما جاء به الربيع ؟ قال : ألم تر أكثر ما يدعو الناس وما أقل إجابتهم ؟ وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء . قلت : أو ليس قال ذلك عبد الله ؟ (يعني ابن مسعود) قال : وما قال ؟ قال : قال عبد الله : لا يسمع الله من مسمع ولا من مراء ولا لاعب إلا داع دعا يثبت من قلبه . قال : فذكر علقمة . قال : نعم .

فالذي يظهر أن الربيع وهو ابن خثيم تلقّاه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – إذ هو من أخص تلاميذه .

٨٨ – الفوائد . ص (٧٢) .

٨٩ – رو اه البخاري من حديث ابن عباس (٤١/٢، ٤٢) ، (١٤٨/٧) وأبي موسى الأشعري (١٦٥/٧) . ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٥٣٢/١) وأبي موسى الأشعري (٢٠٨٧/٤) ومن حديث علي بن أبي طالب (٥٣٥/١) .

رواه البخاري . كتاب التهجد . باب التهجد بالليل (٤١/٢ ، ٤٢) واللفظ له ، ومسلم .كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٣٢/١ ، ٥٣٣) .

٩٠ – رواه البخاري (٢٠٣/١) ومسلم (٢٠٧٨/٤) .

وعلّم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عائشة – رضي الله عنها – دعـــاءً تدعو به إن هي وافقت ليلة القدْر أو عَلِمَتْها ، فقال : قُولِي : اللّهُمّ إنّكَ عَفُوّ كريم تُحِبُ العَفْــوَ فاعْــفُ عَـــنّـــي [٩١] .

فهذا كله من ختم الدعاء بما يُناسبه من أسماء الله الحسنى .

١٠ ـ الإكْثار من الدّعَاءَ في الرّخَاءِ

مَـــنْ عَـــرَف الله في الـــرخـــاء عَـــرَفَـــه في الشِّـــدّة .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قـــال : قال رسُـــولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ سَـــرّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشّدَائِدِ والكُرَبِ ، فَلْيُكْثِـــرِ الدّعَاءَ في الرّخَـــاءِ [٩٢] .

قال أبو الدرداء : مَنْ يُكثر الدعاء في الرخاء يُستجاب لـــه عند البلاء ، ومن يُكثر قَرْع الباب يُفتح لـــه [٩٣] .

وقال ابن رجب : وفي الجملة ، فَمَنْ عَامَلَ الله بالتقوى والطاعـــة في حال رخـــائه ، عَامَلَهُ الله باللطف والإعانة في حال شدّته [٩٤] .

أخلِق بذي الصبر أن يظفؤ بحاجته ومُدمن القَرْع للأبواب أن يلِجـــا

١١ ـ تكرار الدعاء والإلحاح على الله

مَن يُكثر قَرْع الباب يُفتح لـــه ، كما قال أبو الدرداء – رضي الله عنه – .

ومَن ألـــحّ على الله في الدعاء فإن الله لا يَردّ مَن سأله ، ولا يقطع مَن رجـــاه ، ولا يخيب مَن أمّـــلـــه .

وجاء في صفة دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّـــهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللّهُـــمّ آتِ مَـــا وَعَدْتَنِي اللّهُمّ إنْ تَهْـــلِكْ هَـــذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ

---

٩١ – سيأتي تخريجه . انظر – غير مأمور – (ص ٣٤) من هذا الكتاب .

٩٢ – حديث حسن : رواه الترمذي (٤٦٢/٥) وأبو يعلى (٢٨٣/١١) والحاكم (٧٢٩/١) .

٩٣ – رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣/٧) .

٩٤ – جامع العلوم والحكم (٤٧٤/١) .

مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّىَ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءهُ ، فَأَلْقَاهُ عَلَىَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ ، فَإِنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْـزَلَ اللّهُ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُـمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُـم بِأَلْـفٍ مِّـنَ الْمَلآئِكَـةِ مُـرْدِفِينَ)[الأنفال:٩] [٩٥] .

وقد اشتمل هذا الحديث على عدة آداب من آداب الدعاء :

أولها : استقبالُ القبلة .

ثانيها : رفع اليدين [مادّاً يديه].

ثالثها : [التضرّع] هتافُـه بربه .

رابعها : الإلحاح [فما زال يهتف بربه] .

خامسها : حضورُ قلبِه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى عندما سقط رداؤه لم يشعر به ، بل ردّه عليه أبو بكر – رضي الله عنه – .

هذا وهو المؤيد بالوحي المأمور بغـزو القوم : " أغزهم نُغْـزِكَ ، وأنفـق فَسَنُنْفـق عليك ، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله ، وقاتِل بمن أطاعك من عصاك " [٩٦] .

ومع ذلك لم يعتمد علىذلك ، وإنما ألـحّ على الله وكرر الدعاء وهتف بربِّـه .

١٢ ـ عزم المسألة ، وعدم التردد

بمعنى أن يسأل الداعي ربَّه وهو جـادٌ في سؤاله ، يسأله مسألة المسكين ، ويبتهل إليه ابتهال المذنب الذليل ؛ ولا يسأله مسألة من يُجرِّب ، وكأنه يمتحن ربّه .

قال البيهقي – في فصول في الدعـاء – : ومنها أن يكون دعـاؤه سؤالا بالحقيقة لا اختباراً لربه جل ثناؤه ... ومنها أن يَعزم المسألة [٩٧] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أَنّ رَسُولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت . اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانعُ ما شاء لا مُكره له [٩٨] .

---

٩٥ – تقدّم تخريجه (ص ١٤)

٩٦ – مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/٢١٩٧) . ومعنى : نُغْـزِك : أي نُعينك .

٩٧ – شعب الإيمان (٢/٤٣– ٤٥) .

وفي رواية لمسلم : إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، وَلَـكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلْيُعَظّمِ الرّغْبَةَ ، فَإِنّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ .

وعن أنس – رضي الله عنه – مرفوعاً : إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله لا مستكره له .

ويُخطئ بعض الناس عندما يقرِن الدعاءَ بالمشيئة ، فيقول مثلاً : جزاك الله خيراً إن شاء الله ، وما أشبه ذلك ، وهذا خطأ .

وذلك لأن من دعـــا وقَرَنَ دعائه بالمشيئة فهو بين أمرين :

- إما أن يكون الداعي غير محتاج لما سأل .
- وإما أن يكون المسؤول غير مقتدر على تلبية السؤال ، فيخشى أن يُوقعه في الحرج ، فيقول : أعطني كذا إن شئت .

وكل من الأمرين مُنْتَـــفٍ في حق الله تبارك وتعالى .

قال علماؤنا : قوله : " فليعزم المسألـــة " دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء ، ويكون على رجاء من الإجابة ، ولا يقنط من رحمة الله ؛ لأنه يدعو كريما [٩٩] .

١٣ - الإكثار من ذِكر الله تبارك وتعالى

مَـــنْ ذَكَـــرَ الله ذَكَـــره الله ، إذ الجزاء من جنس العمل .

ومَـــنْ أكثر من ذِكر الله كان قريبا من الله مُحبّـــاً له ، إذ أن من أحبّ شيئا أكثر مِن ذِكره ، ومَن أحبّـــه الله أكرمه .

فعن أَبي هُرَيْرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثلاثة لا يَـــردُّ الله دعاءَ هم : الذاكر الله كثيراً ، والمظلوم ، والإمام المقسط [١٠٠] .

وذِكر الله مِن أحب الأعمال إلى الله – عز وجل –

---

٩٨ – رواه البخاري .كتاب الدعوات . باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (١٥٣/٧) . ورواه مسلم كتـــاب الـــذكر والـــدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٦٣/٤) والرواية الثانية في الموضع نفسه .

وحديث أنس – الآتي بعده – في الموضعين نفسيهما .

٩٩ – من كلام القرطبي في التفسير (١٢٧/١) .

١٠٠ – حديث حسن : رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩/١ ، ١١/٦) وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٠٦٤) .

قال – عليه الصلاة والسلام – : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى [١٠١] .

فإذا كان ذكر الله لـــه هذه المنـــزلة فهو من أفضل النوافل [١٠٢] ، وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه [١٠٣] .

فإذا أحبّ الله عبداً استجاب دعاءه ، وأعطاه مسألته .

١٤ ـ ختم الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرة عظيمة النفع ، وقد قَرَن الله اسم نبيِّـــه باسمه في مواضع عديدة ، كالشهادتين ، وفي الأذان ، وعلى المنابر ، فلقد رفع الله لـــه ذِكْرَه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رفع الدعاء إلى السماوات العُلى

فعن علي – رضي الله عنه – قال : كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصَلَّى على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [١٠٤] .

فيفتتح الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ويُختتم بالصلاة عليه [١٠٥] .

وأما صفة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها كما علمها أصحابه عندما سألوه قائلين : يا رسول الله كيف نُصلِّي عليك ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته

---

١٠١ – حديثٌ صحيح : رواه أحمد (١٩٥/٥) والترمذي (٤٥٩/٥) وابن ماجه (١٢٤٥/٢) .

١٠٢ – لتفصيل هذه المسألة وفضل الذِّكر والذّاكر . يُراجع الوابل الصيب لابن القيم (ص ٥٨) .

١٠٣ – رواه البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع (١٩٠/٧) .

١٠٤ – حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٠/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٦/٢) وقال : هكذا وجدته موقوفـاً .

قال الهيثمي في المجمع (١٦٠/١٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

وقال الشيخ الألباني (الصحيحة مج ٥ / ٥٤ – ٥٨) : وخلاصة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد لا ينـــزل عن مرتبة الحسن – إن شاء الله تعالى – على أقل الأحوال .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وقول أبي الحسن – رضي الله عنه – لا يُقال من قبيل الرأي ، فله حكم المرفوع .

١٠٥ – وقد تقدم (ص ٢٤) البدء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله – عز وجل – .

كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد [١٠٦] .

١٥ - عدم الاعتداء في الدعاء

لأن الاعتداء في الدعـــاء نوعٌ من العبث لا يليق بالعبادة ، ويتنافى مع آداب الدعاء .

ويدخل تحت الاعتداء :

أ - دعاء اللهِ سبحانه بغير الأسماء الثابتة في الكتاب والسُّنة

قال سبحانه وتعالى : (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الأعراف : ١٨٠] .

قال الشوكاني : والإلحادُ في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجُـــه :

١ – إما بالتغيير ؛ كما فعله المشركون ، فإنـــهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعُـــزّى من العزيز ، ومناة من المنان .

٢ – أو بالزيادة عليها ؛ بأن يخترعوا أسماء من عندِهم لم يأذنِ الله بـــها .

٣ – أو بالنقصان منها ؛ بأن يدعوه ببعضها دون بعض [١٠٧] .

وعـــدّ الحافظ في الفتح من الاعتداء :

٤ – تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة [١٠٨] .

ب - تكلّف السجـع في الدعاء

السَّجْـــع هو تركيب الكلام بحيث تكون أواخره على نسق واحد .

وإذا قصد الداعي السجع انشغل قلبه بتركيب الكلام وانصرف عن الدعاء .

وقد أنكر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حَمَل بْن النّابِغَةِ الْهُذَلِيّ عندما قال : يَا رَسُـــولَ اللّهِ كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلّ ؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلّ ، فَقَالَ

---

١٠٦ – رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب هل يُصلي على غير النبي صلى الله عليه وسلم ... (١٥٧/٧) وفي مواضع أُخـــر . ورواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٠٦/١) .

١٠٧ – فتح القدير (٣٠٥/٢) .

١٠٨ – فتح الباري (٢٢٤/١١) .

رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهّانِ . مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الّذِي سَجَــعَ [١٠٩] .

فإذا كان هذا في كلام عابر فكيف إذا كان في الدعاء الذي هو العبادة ؟

وأخرج البخاري عنِ ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أنه قال : فانظر السجعَ من الدعــاء فاجتنِبْه ، فإِني عهدتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابَــهُ لا يفعلون إلا ذلك . يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتِناب [١١٠] .

أي أنهم يجتنبون السجع في الدعاء .

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة – رضي الله عنها – أنــها قالت لابن أبي السائب : واجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه يكرهون ذلك [١١١]

وفي رواية ابن أبي شيبة قالت : اجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت رســول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابــه وهم لا يفعلون ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : وأما من دعا الله مخلصاً لــه الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه سواء كان معربا أو ملحونا ، والكلام المذكور [١١٢] لا أصل لــه ، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الأعراب أن لا يتكلف الإِعراب ، قال بعض السلف : إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وهذا كما يَكره تكلف السجع في الدعاء ، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به ، فإن أصل الدعاء من القلب ، واللسان تابع للقلب ، ومن جعل هِمّته في الدعاء تقويم لسانه أضعف تَوَجّه قلبه ، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعــاء يُفتح عليه لا يَحضره قبل ذلك ، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه [١١٣]

جـ - رفعُ الصوتِ بالدعاء والمبالغةِ في ذلك

المسلم إذا توجّــه في الدعاء فإنه يدعو سميعاً بصيرا قريباً مُجيبا .

---

١٠٩ – رواه البخاري . كتاب الطب . باب الكهانة (٢٧/٧) ومسلم . كتاب القسامة (١٣٠٩/٣) . ومعــنى (يُطَــلّ) أي يُهدر . وفي بعض الروايات (بَطَل)

١١٠ – كتاب الدعوات . باب ما يُكره من السجع في الدعاء (١٥٣/٧) .

١١١ – رواه أحمد (٢١٧/٦) وابن حبان في (٢٥٨/٣ إحسان) ، ورواية ابن أبي شيبة الآتية في (٢١/٦) ، وقــال الهيثمــي (١٩١/١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١١٢ – يقصد ما ورد في السؤال ، حيث سُئل عن رجل دعا دعاء ملحونا ، فقال له رجل : ما يقبل الله دعاء ملحونا .

١١٣ – مجموع الفتاوى (٤٨٨/٢٢ ، ٤٨٩) .

أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعريّ – رضي الله عنه – قال : كنُا معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكنّا إذا أشرَفْنا على وادٍ هلّلْنا وكبّرنا ، وارتفعَت أصواتُنا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا أيّهـــا الناسُ ، ارْبَعوا على أنفُسكم ، فإنكم لا تَـــدْعونَ أصـــمَّ ولا غائباً ، إنهُ معكم إنهُ سميعُ قَريب ، تَبارَكَ اسمـــهُ ، وتَعالى جَـــدُّه [١١٤] .

وفي رواية لمسلم قال : والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم .

قال النووي في المنهاج : فيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه ، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه ، فإن دعت حاجة إلى الرَّفْعِ رَفَع [١١٥] .

وقال ابن حجر في الفتح : اربعوا : أي ارفقوا ، ولا تُجهدوا أنفسكم .قال الطبري : فيه كراهة رفع الصوت بالدعـــاء والذكـــر ، وبه قال عامـــة السلف من الصحابـــة والتابعين [١١٦] .

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه سمع رجلا يرفع صوته بالدعاء فرماه بالحصى [١١٧] .

وروى أيضا أن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : أيها الناس إنكم لا تَدعُون أصما ولا غائبا يعني في رفع الصوت بالدعاء .

وروى أيضا عن الحسن قال : كانوا يجتهدون في الدعاء ، ولا يُسْمَع إلا همسا .

وعن عبد الله بن نسيب قال : صليت إلى جنب سعيد بن المسيب المغرب ، فلما جلست في الركعة الآخرة رفعت صوتي بالدعاء فانتهرني ، فلمـــا انصرفت قلت لـــه : ما كرهت مني ؟ قال : ظننتَ أن الله ليس بقريب منا ؟ [١١٨] .

وكان السلف يكرهون أن يسمع الرجل جليسه شيئا من الدعـــاء .

قال ابن مفلح : يُكره رفـــع الصوت بالدعـــاء مطلقـــاً . قال المروذي : سمعت أبا عبد الله يقول : ينبغي أن يُسرَّ دعائه لقوله تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا) [الإسراء:١١٠]

---

١١٤ – رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (١٦/٤) ومسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة و الاستغفار (٢٠٧٦/٤) ، والرواية الآتية له في الموضع نـــفسه .

١١٥ – (٢٥/١٧) ، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج هو المشهور بشرح النووي على صحيح مسلم .

١١٦ – (١٨٨/١١) .

١١٧ – (٢٣٢/٢) .

١١٨ – هذه الآثار رواها ابن أبي شيبة في المصنف (٨٥/٦) .

قال في المستوعب : يُكره رفع الصوت بالدعاء ، وينبغي أن يُخفي ذلك لأن الله تعالى قال : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) [الأعراف:٥٥] فَأَمَـرَ بذلك [١١٩] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والسُّـنّة في الدّعاء كلِّه المخافـتة ، إلا أن يكون هناك سبب يُشرع له الجهر [١٢٠] .

قال الكمال ابن الهمام : ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغـة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية ، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الردّ ، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به فكأنه قال : أعجبوا من حسن صوتي وتحريري ، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء – كما يفعله القراء في هذا الزمان – يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال ، وما ذاك إلا نوع لعب ، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيع كالتغنّي نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب ، إذ مقـام طلب الحاجـة التضرع لا التّـغني ، فاستبان أن ذاك مـن مقتضيات الخيبة والحرمان [١٢١] .

د - ذكر التفاصيل في الدعاء

سمع سعد بن أبي وقاص ابناً لـه يُصلي فكـأن يقول في دعـائه : اللهم إني أسألك الجنة ، وأسألك من نعيمها ، وبـهجتها ، ومن كذا ، ومن كذا ، ومن كذا ومن كذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالـها ، ومن كذا ، ومن كذا . قال : فسكت عنه سعد ، فلما صلى قال لـه سعد : تعوّذت من شر عظيم ، وسألت نعيماً عظيماً – أو قال : طويلاً ، شعبة شك – قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وقرأ : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف : ٥٥] قال شعبة : لا أدري قوله : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَة) هذا من قول سعد أو قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقال لـه سعد : قل :

---

١١٩ – انظر الآداب الشرعية والمِنح المرعية (١٨٧/٢) . وأبو عبد الله هو إمام أهل السنة ، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

١٢٠ – مجموع الفتاوى (٤٦٨/٢٢)

١٢١ – نقلاً عن فيض القدير للمناوي (٢٢٩/١) .

اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل [١٢٢] .

وعن عَبْد اللّهِ بْن مُغَفّلٍ أنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا ، فَقَالَ : أَيْ بُنَيّ سَلِ اللّهَ الْجَنّةَ ، وَعُذْ بِهِ مِنَ النّارِ ، فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُول : سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدّعَاءِ [١٢٣] .

وما ذلك إلا لعلم الصحابة رضي الله عنهم بحرص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جوامع الدعاء ، والبعدِ عن التكلّف . وقد ربّاهم النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الدعاء ليس كلّه جائزاً ، بل فيه عدوان محرم ، والمشروع لا عدوان فيه ، وأن العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ ، وتارة في المعاني [١٢٤] .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَسْتَحِبّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدّعَاءِ ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِك [١٢٥] .

لأن ما سوى ذلك يدخل في التكلف ، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أُمِر أن يقول : (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [ص : ٨٦] .

والتعدِّي في الدعاء يُفوّتُ المقصود من جوامع الدعاء . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ ، فَإِنّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ . خُذُوا مَا حَلّ ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ [١٢٦] .

ومعنى أجمِلوا في الطلب : اعتدلوا ولا تُفرِطوا فيه .

إذا عُلِمت هذه الآداب ، فللدعاء أماكن وأوقات وأحوال هي مظانّ إجابة الدعاء .

---

١٢٢ – رواه أحمد (١٧٢/١) وأبو داود (٧٧/٢) وابن ماجه (٢٨١/٤) وفي إسناده زياد بن مخراق ، وهو ثقة . قال الأثرم : سألت أحمد عنه ، فقال : ما أدري . قال : وقلتُ لـه : روى حديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء . فقال : نعم . لم يُقِم إسناده . والحديث حسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٦٧١)

١٢٣ – حديث صحيح : رواه أحمد (٥٥/٥) وأبو داود (٢٤/١) وابن ماجه (٢٨١/٤) والحاكم (٧٢٤/١) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (١٦٦/١٥ إحسان) .

١٢٤ – مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٧٤) .

١٢٥ – حديث صحيح : رواه أحمد (١٨٩/٦) وأبو داود (٧٧/٢) والحاكم (٧٢٣/١) وصححه .

١٢٦ – حديث صحيح : رواه من حديث جابر بن عبد الله : الطبراني في الأوسط (٢٦٨/٣) والبيهقي في الكبرى (٢٦٥/٥) وابن عبد البر في التمهيد (٤٣٥/٢٤) . ورواه من حديث ابن مسعود : هناد في الزهد (٢٨١/١) ابن أبي شيبة (٧٩/٧) .

١٦ ـ اختيار الأوقات والأماكن والأحوال التي هي مضانّ الإجابة

ثمـــة أوقات وأحوال وأماكن يكون الدعاء فيها أقرب وأحرى للإجابة .

أما الأوقات فمنها :

أولاً : بين الأذان والإقامة

عندما يكون العبد في انتظار الصلاة فهو في صلاة ، وهو في قُربة وطاعة .

عن أَنَس – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يُـــرَدّ الدّعَاء بَيْنَ الْأَذَانِ والإِقَامَة [١٢٧] .

ولفظه عند الترمذي . قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الدّعَاءُ لاَ يُـــرَدّ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَـــة . قالُوا فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدّنْيَـــا وَالآخِرَة [١٢٨]

قال ابن عمر : كُنّا نُحَدَّث أن أبواب السماء تُفْتَح عند كل أذان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُصلِّي قبل الظهر أربعـــاً ، ويقول : إنـــها ساعـــة تفتح فيها أبواب السماء ، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح [١٢٩] .

ثانياً : آخر ساعة من يوم الجمعة

عن أبي هريرةَ – رضي الله عنه – قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : في يوم الجمعة ساعةٌ لا يُوافِقها مسلمٌ ، وهو قائمٌ يُصلي يسألُ اللّهَ خيراً إلاّ أعطاه إيّاه . وقال بيده يقللها يزهدها [١٣٠] .

---

١٢٧ – حديثٌ صحيح : رواه أحمد (١١٩/٣) وأبو داود (١٤٤/١) والنسائي في الكبرى (٢٢/٦) وابن خزيمة (٢٢١/١) وابن حبان (٥٩٤/٤ إحسان) وزادا : " فادعوا " ، وهي عند أحمد أيضا (١٥٥/٣) .

١٢٨ – (٥٧٦/٥) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . =

= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ومدار إسناده عنده على زيد العمي ، وهو ضعيف ، إلا أن بريد بن أبي مـــريم تابعـــه علـــى الشطر الأول منه ، كما في المسند (١٥٥/٣) وعند النسائي في الكبرى (٢٢/٦) وابن أبي شيبة في المصـــنف (٣١/٦) وابـــن حبان (٥٩٤/٤ إحسان) والضياء في المختارة (٣٩٢/٤) .

١٢٩ – حديث صحيح : رواه أحمد (٤١١/٣) والترمذي (٣٤٢/٢) والضياء في المختارة (٣٩٤/٩) والطبراني في الأوسط (٣٥٣/٤) من حديث عبد الله بن السائب – رضي الله عنه – .

وله شاهد من حديث أبي أيوب – رضي الله عنه – : رواه عبد الرزاق (٦٥/٣) وأحمد (٤١٨/٥) وأبو داود (٢٣/٢) وابـــن ماجه (٤٠/٢) والبيهقي في الشعب (١٢٣/٣) .

وله شاهد ثالث من حديث عبد الله بن سفيان – رضي الله عنه – : رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢١١/٥) .

وفي حديث عبد الله بن سلاَم – رضي الله عنه – قال : قلت – ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جالس – : إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى في يوم الجمعة ساعةٌ لا يوافقها عبد مؤمن يُصلي يسأل الله بـــها شيئا إلا قضى الله له حاجته . قال عبد الله : فأشار إليّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أو بعضُ ساعة . فقلت : صدقت ، أو بعض ساعة . قلت : أي ساعة هي ؟ قال : آخر ساعات النهار . قلت : إنـــها ليست ساعة صلاة . قال : بلى ، إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة [١٣١] .

وقد أشكل هذا على أبي هريرة حول هذه الساعة ، وكيف يكون العبد في صلاة ، وهي ساعة نُهي عن الصلاة فيها ؟

فقد حـــدَّثَ أبو هريرة – رضي الله عنه – أنه لَقي عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – فحدّثه عن مجلس جَلَسَه مع كعب الأحبار ، وأنـــهما تذاكرا فيه ساعة الجمعة ، فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أية ساعة هي . قال أبو هريرة : فقلت لـــه : فأخبرني بـــها . فقال عبد الله بن سلام : هي آخر ساعة من يوم الجمعة . فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يُصَلِّي . وتلك الساعة لا يُصَلَّى فيها ؟ فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَـــنْ جلس مجلسا ينتظر الصلاة ، فهو في صلاة حتى يُصلي ؟ قال : فقلت : بلى . قال : هو ذاك [١٣٢] .

---

١٣٠ – رواه البخاري .كتاب الدعوات. باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت ومـــا أخـــرت (١٦٥/٧ ، ١٦٦) ومسلم . كتاب الجمعة (٥٨٤/٢) .

١٣١ – حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (٤٥١/٥) وابن ماجه (٣٢/٢) وقال البوصيري : هذا إسناد صحيح رجاله ثقـــات على شرط الصحيح . ورواه الضياء في المختارة (٤٤٤/٩) . وقوله : (إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى) يعني : التوراة . وعبد الله بن سلام كان يهودياً فأسلم فرضي الله عنه وأرضاه .

١٣٢ – حديث صحيح : رواه أحمد (٤٥١/٥) وأبو داود (٢٧٤/١) ومالك في الموطأ (١٠٩/١) والترمـــذي (٣٦٢/٢) والنسائي (١٢٨/٣) وابن حبان (٧/٧) والحاكم (٤١٣/١) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجـــاه . ورواه البيهقي في الكبرى (٢٥٠/٣) والضياء في المختارة (٤٢٦/٩) .

وقد أشكل هذا على الشيخ أحمد شاكر في شرحه لجامع الترمذي (٣٦٣/٢) فظنّ أن قول عبد الله بن سلام " في انتظار الصـــلاة " إنما هو استنباط استنبطه ، ولم يزعمه سماعاً من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولذلك تأوّل قول النبي صلى الله عليه وعلـــى آله وسلم بأنه ينتظر الصلاة .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ليس الأمر كما ذهب إليه – رحمه الله – فقد سبق آنفاً إيراد ما رواه ابن ماجه عنه صريحـــاً من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة . وكان ذلك أشـــكل على عبد الله بن سلام أولاً ثم سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبيّن له . والله أعلم .

ثالثاً : عند صعود الخطيب المنبر يوم الجمعة حتى تُقضى الصلاة

وقع الخلاف حول ساعة الجمعة ، وما ذلك إلا لخفائها ، وإخفاؤها لأجل الاجتهاد وطلبها والحرص عليها ، كما أُخفيت ليلة القدر .

عن أبي بُرْدَةَ بنِ أبي مُوسَى الأشعري قال : قال لِي عَبْدُ الله ابنُ عُمر : أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدّثُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شَأْنِ الْجُمُعَةَ – يَعْني السّاعَةَ – ؟ قال : قُلْتُ : نَعَمْ سَمِعْتُــهُ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولُ : هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلَى أنْ تُقْضَى الصّلاَةُ . قالَ أبُو دَاوُدَ : يَعْني عَلى المِنْبَرِ [١٣٣] .

وللعلماء كلام حول هذا الحديث ، ولا يمنع أن تكون الساعة قد قُسِمتْ بين هذين الوقتين ، وفضل الله واسع لا حصر له . والله أعلم .

ولكن ينبغي التّنبُّه إلى أنه لا يُشتغل بالدعاء حال الخُطبة ، ولا تُرفعُ الأيدي إلا في الاستسقاء ، أي إذا دعا الإمام يوم الجمعة لطلب سُقيا المطر .

رابعاً : جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبة

عندما تهدأ العيون ، وتغــار النجوم ، ويتلذذ أُناس بالنوم على الفُرُش ، فإن أُناساً من المؤمنين يُناجون من لا تأخذه سِنة ولا نوم ، فيستجيب لهم .

فعن أبي أمامة قال : حدثني عَمْرُو بنُ عَبسَةَ أَنّهُ سَمِعَ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرّبّ مِنَ العَبْدِ في جَوْفِ اللّيْلِ الآخِرِ ، فإنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمّنْ يَذْكُرُ الله في تِلْكَ السّاعَةِ فَكُنْ [١٣٤] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قــال : ينــزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيبَ له ، ومن يسألُني فأعطيَه ، ومن يستغفرني فأغفرَ له [١٣٥] .

---

١٣٣ – رواه مسلم . كتاب الجمعة (٥٨٤/٢) وأبو داود (٢٧٦/١) ، وانظر – غير مأمور – صحيح الترغيــب والترهيــب للألباني (٣٦٩/١) حاشية (١) .

١٣٤ – حديث صحيح : رواه الترمذي (٥٦٩/٥) والنسائي في الكبرى (٤٨٢/١) وابن خزيمــة (١٨٢/٢) والحــاكم (٤٥٣/١) والطبراني في مسند الشاميين (٣٤٩/١) وابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٤) ، وقال : وهو حديث صحيح ، وطرقــه كثيرة حسان شامية .

وفي صحيح مسلم من حديث عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة [١٣٦] .

وكَانَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ : اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ومَنْ فيهنّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيّامُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ ، أَنْتَ الْحَقّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقّ ، وَالْجَنّةُ حَقّ ، وَالنّارُ حَقّ ، والنّبيُّون حقٌّ ، ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقٌّ ، وَالسّاعَةُ حَقّ . اللّهُمّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وما أَخّرْتُ ، وما أَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ . أَنْتَ الْمُقَدّم وأنت المؤخّر ، لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ [١٣٧] .

فيُثني على الله – عز وجل – بما هو أهله ثم يدعوه .

وذلك لما يَعْلَم – عليه الصلاة والسلام – من فضل الدعاء في جوف الليل ، ولِمَا سيأتي من أن الدعاء عند الاستيقاظ مستجابٌ لمن بات متطهراً .

وخرج المحاملي وغيره من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : قال الله تعالى : من ذا الذي دعاني فلم أجبه ، وسألني فلم أعطه ، واستغفرني فلم أغفر له ، وأنا أرحـــم الراحمين [١٣٨] .

عَن أبي أُمَامَةَ قال : قِيلَ لرَسُولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّ الدّعَاءِ أَسْمَعُ ؟ قال : جَوْف اللّيْلِ الآخِرُ ، وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ [١٣٩] .

وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ : أي قبل السلام كما ثبتت بذلك الأحاديث .

---

١٣٥ – رواه البخاري . كتاب التهجد . باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ...(٤٧/٢) ومسلم .كتاب صـــــلاة المســـافرين وقصرهـــا (٥٢١/١ ، ٥٢٢) .

١٣٦ – كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٢١/١ ، ٥٢٢) .

١٣٧ – متفق عليه : وفي رواية لهما : (قيّمُ) بدل (قيام) . وتقدم تخريجه (ص ٢٦) .

١٣٨ – ذَكَرَه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٨٠/١) ، ومعناه صحيح .

١٣٩ – حديث صحيح : رواه الترمذي (٥٢٦/٥) و قال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . وهو كما قال . ورواه النسائي في الكـــبرى (٣٢/٦) وعبد الرزاق في المصنف (٤٢٤/٢) . وله شاهد من حديث عمرو بن عَبَسَة – رضي الله عنه – وسيأتي الحديث وتخريجه .

ففي حديث عبد الله بن مسعود – وذكر صفة التشهد – قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به . وفي رواية : ثم ليتخيّر من المسألة ما شاء أو ما أحب [١٤٠] . أي قبل السلام .

خامساً : يومُ عرفة

في ذلك الموقف العظيم يُباهي رب العزة سبحانه ملائكته بعباده الذين أتوه شُعثاً غُبراً .

قال – عليه الصلاة والسلام – : إن الله عز وجل يُباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، فيقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شُعثاً غبراً [١٤١] .

وعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عَن أبيهِ عَن جَدّهِ أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أنا والنّبِيّونَ مِنْ قَبْلِي : لاَ إلَهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كلّ شَيْءٍ قَديرٌ [١٤٢] .

سادساً : ليلة القدر

عَن عَائِشَةَ قالَتْ قُلْتُ : يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَة القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا ؟ قال : قُولِي : اللّهُمّ إنّكَ عَفُوّ كريم تُحِبُ العَفْوَ فاعْفُ عَنّي [١٤٣] .

فأرشدها إلى الدعاء ، ودلّها عليه في تلك الليلة المباركة .

ولذا قالت عائشة – رضي الله عنها – : لو علمت أي ليلة ليلة القدر ، لكان أكثر دعائي فيها أنْ أسأل العفو والعافية [١٤٤] .

---

١٤٠ – الرواية الأولى رواها البخاري . كتاب الأذان . باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب (٢٠٣/١) ، والثانية رواها مسلم . كتاب الصلاة (٣٠٢/١) .

١٤١ – حديث صحيح : رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله عمرو بن العاص (٢٢٤/٢) ، ومن حديث أبي هريرة (٣٠٥/٢) .

١٤٢ – حديث حسن بمجموع طُرقه : رواه الترمذي (٥٧٢/٥) .

وله شاهد عن عبد الله بن كريز مرسلا . رواه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤ ، ٤٢٢) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٢٨٤/٤) ، (١١٧/٥) وقال : هذا مرسل ، وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولا ، ووصله ضعيف .

ورواه موصولاً من حديث أبي هريرة في شعب الإيمان (٤٦٢/٣) .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وهو حديث حسن بمجموع طُرقه .

١٤٣ – حديث صحيح : رواه أحمد (٢٥٨/٦) والترمذي (٥٣٤/٥) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ ، والنسائي في الكبرى (٤٠٧/٤) وابن ماجه (٢٧٣/٤) والحاكم (٧١٢/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

سابعاً : عند الصف في سبيل الله ، وعند الأذان

عندما تلتحم الصفوف ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويذكر المحــبّ حبيبه ، يذكر المؤمن ربّــه ويدعوه ويتضرعّ إليه .

قال ابن القيم – رحمه الله – : من أحب شيئا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه ، ولهذا أمر الله سبحانه عباده بذكره على جميع الأحوال وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)[الأنفال:٤٥] والمُحِبُّون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف وملاقاة الأعداء كما قال قائلهم :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لَبان الأدهم

فوددت تقبيل السيوف لأنها بَرَقَتْ كبارق ثغرك المتبسِّم

وفي بعض الآثار الإلهية : إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقٍ قِــرنه . فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب [١٤٥] .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الداعي وقت التحام الصفوف أقرب ما يكون إلى الإجابة .

روى الإمام مالك عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيّ أَنهُ قَال : سَاعَتَانِ تُفْتَحُ لَهُمَا أَبْوَابُ السّمَاءِ ، وَقَلّ دَاعٍ تُرَدّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ : حَضْرَةُ النّدَاءِ لِلصّلاةِ [١٤٦] ، وَالصّفُّ فِي سَبِيلِ اللّهِ [١٤٧] .

وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان لا تُردان ، أو قلما تُردّان : الدعاء عند النداء وعند البأس ؛ حين يلحم بعضهم بعضا [١٤٨] .

وقد تقدم أن الدعاء عند الأذان لا يُردّ ، وفي الإعادة إفادة .

ثامناً : عند نـزول الغيث :

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان ما تردّان – أو قلّما تردّان – : الدعاء عند النداء ، وتحت المطر [١٤٩] .

---

١٤٤ – رواه النسائي في الكبرى (٢١٨/٦) .

١٤٥ – روضة المحبين (٢٧٢) باختصار يسير .

١٤٦ – يعني الأذان للصلاة .

١٤٧ – (٧٠/١) ومن طريقه عبد الرزاق (٤٩٥/١) وابن أبي شيبة (٣٠/٦) البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٤٦ صــحيح الأدب) والبيهقي في الكبرى (٤١١/١) ، ورواه مرفوعاً ابن حبان (٥/٥ إحسان) . ويشهد له ما بعده .

١٤٨ – حديث صحيح : رواه أبو داود (٢١/٣) والدارمي (٢٩٣/١) وابن خزيمة (٢١٩/١) وابــن الجــارود في المنتقــى (ص ٢٦٧) والحاكم (٣١٣/١)

تاسعاً : أوقات متفرقة

عن جـــابر بن عبد الله أن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعـــا في مسجد الفتح ثلاثاً : يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب لـــه يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرف البِشر في وجهه . قال جابر : فلم ينـــزل بي أمر مهم غليظ إلا توخّيت تلك الساعـــة ، فأدعـــو فيها فأعـــرف الإجـــابة [١٥٠] .

وقد يتهيأ للعبد أكثر من فرصة لإجابة الدعاء ، كأن يكون مسافراً عصر الجمعة ، فيجتمع حال السفر مع ساعة الإجابة آخر النهار ، وقد يدعوا بين الأذان والإقامة وهو ساجد يصلي فيجتمع حال السجود مع هذا الوقت الذي هو مظنة إجابة الدعوة .

وقد تجتمع ثلاثُ فُرص ، كالمسافر عصر الجمعة ويدعوا لأخيه بظهر الغيب وهكذا .

[وأما الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء فمنها]

الملتَزَم وهو بجـــوار الحجر الأسود ، وسمي كذلك لأن الناس يلتزمونه بصدورهـــم وأيديهم ، وهو ما بين الحجر الأسود إلى باب الكعبة .

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُلزِق صدره ووجهـــه بالمُـــلتَـــزَم [١٥١] .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : المـــلـــتَـــزم ما بين الركن والباب [١٥٢] .

وعنه – رضي الله عنه – أنه كان يَلْـــزَمُ ما بين الركن والباب ، وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى المُـــلْـــتَـــزَم ، لا يَـــلْـــزَم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطـــاه إياه [١٥٣] .

وعن مجاهد أنه قال :كانوا يَلْـــتَـــزِمُون ما بين الركـــن والباب ويَدْعُون [١٥٤] .

---

١٤٩ – حديث حسن : رواه الحاكم (١٢٤/٢) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ومن طريقه أخرجه البيهقي في الكبرى (٣٦٠/٣) وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٧٩) .

١٥٠ – حديث حسن : رواه أحمد (٣٣٢/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٢ صحيح الأدب) وهو حديث حسن كما قال الألباني .

١٥١ – رواه الدارقطني (٢٨٩/٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٧/٣) ، وفي الكبرى (١٦٤/٥) إلا أنه وقع عنده عمرو بن شعيب عن عكرمة عن جده . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠١٢) .

وقد قوّى الزيلعي في نصب الراية بعض طرق أحاديث الدعاء عند الملتزم .

وانظر – غير مأمور – نصب الراية للزيلعي (٩١/٣) والدراية (٣٠/٢ ، ٣١) والتلخيص الحبير (٢٨٨/٢) كلاهما لابن حجر

١٥٢ – رواه عبد الرزاق (٧٦/٥) و ابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) ، ورواه مالك في الموطأ (٤٢٤/١) بلاغـــاً .

١٥٣– رواه البيهقي في الكبرى (١٦٤/٥)

وقال محمد بن عبد الرحمن العبدي : رأيت عكرمة بن خالد ، وأبا جعفر وعكرمة مولى ابن عباس ، يلتزمون ما بين الركن وباب الكعبة [١٥٥] .

وعن معمر أنه قال : رأيت أيوب يُلصق بالبيت صدره ويديه [١٥٦] .

وعنه عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يلصق بالبيت صدره ويده وبطنه [١٥٧] .

وأما التعلق بأستار الكعبة من غير تمسح أو طلب تبرّك فلا حرج فيه ، وكان التعلّق معروفاً ، وهو يدلّ على اللجوء والاستعاذة بالله .

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه – أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه على آله وسلم عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ! فقال : اقتلوه [١٥٨] .

وذلك أنه قتل رجلاً من الأنصار ثم ارتد ولحق بالمشركين [١٥٩]

وقال – عليه الصلاة والسلام – في أربعة نفر : اقتلوهم وأن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة [١٦٠]

مما يدلّ على أن التّعلّق بأستار الكعبة له أصل ، وكان معروفاً ، ولم يُنكره النبي صلى الله عليه على آله وسلم .

إلا أنه لا يُتعلّق بأستار الكعبة تبركاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يُدعى ويُذكر عنده ، فإنه سبحانه يستجار به هناك ، وقد يُستمسك بأستار الكعبة [١٦١] .

ومن الأماكن أيضا :

المسجد الحرام على وجه الخصوص ، ومكة على وجه العموم .

١٥٤– رواه ابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) .

١٥٥– رواه ابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) .

١٥٦– رواه عبد الرزاق (٧٤/٥) .

١٥٧ – رواه عبد الرزاق (٧٦/٥) .

١٥٨ – البخاري .كتاب الجهاد والسير. باب قتل الأسير وقتل الصبر (٢٨/٤) وفي مواضع أُخر ، ومسلم .كتاب الحج (٩٨٩/٢)

١٥٩ – يُنظر لذلك التمهيد لابن عبد البر (١٦٧/٦) .

١٦٠ – رواه النسائي (١٠٥/٧) والضياء في المختارة (٢٤٨/٣) والحاكم (٦٢/٢) وابن أبي شيبة (٤٠٤/٧) والدراقطني وابن عبد البر (١٧٦/٦)

١٦١ – مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٥) .

مكة – شرّفها الله وحرسها – هي البلد الأمين ، وفيها بيت الله ، ولذا تُضاعف الحسنات في الحرم [١٦٢] ، وتعظم السيئات فيه .

وكانت قريش تُعظِّم البيت والدعاء عنده .

ولذا لما صلّى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بِسَلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم [١٦٣] فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه . قال ابن مسعود : وأنا أنظر لا أغني شيئا لو كانت لي مَنَعَة . قال : فجعلوا يضحكون ويحيل [١٦٤] بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات – فشقّ عليهم إذ دعا عليهم . قال : وكانوا يَرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة [١٦٥] . ثم سمّى : اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط – وعد السابع فلم نحفظه – قال ابن مسعود : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر [١٦٦] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وفي الحديث تعظيم الدعاء بمكة عند الكفار ، وما ازدادت عند المسلمين إلاّ تعظيماً ، وفيه معرفة الكفار بِصِدْقِه صلى الله عليه وسلم لخوفهم من دعائه ، ولكن حملهم الحسد على ترك الانقياد له [١٦٧] .

وأما بقية المساجد فللأحاديث الواردة في فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ، والغالب في حال المسلم أنه يكون في المسجد في هذا الوقت .

والذي يظهر أن الوقت والمكان اجتمعا في الدعاء بين الأذان والإقامة . والله أعلم .

---

١٦٢ – وأقصد بـ " الحَـرَم " هنا ما كان داخل حدود الحرم ، فهو الذي تُضاعف الصلاة فيه ، وقد بسط الأدلة فيها وناقشها فضيلة الشيخ د . إبراهيم الصبيحي – حفظه الله – في كتابه " المسائل المُشكِلة من مناسك الحج والعمرة " ص ١٠٠ وما بعدها .

١٦٣ – هو عقبة بن أبي مُعيط – لعنه الله – .

١٦٤ – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٧/١) : " ويُحيل بعضهم " كذا هنا بالمهملة من الإحالة ، والمراد أن بعضهم ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكما ، ويحتمل أن يكون من حال يَحيل بالفتح إذا وثب على ظهر دابته ، أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبطر ، ولمسلم من رواية زكريا " ويَميل " بالميم ، أي من كثرة الضحك ، وكذا للمصنف من رواية إسرائيل .

١٦٥ – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٨/١) : ويمكن أن يكون ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام .

١٦٦ – رواه البخاري . كتاب الوضوء . باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ... (٦٥/١) .

١٦٧ – فتح الباري (٤١٩/١)

ومن الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء : الصفا والمروة حال السّعي .

فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما فرغ من طوافه أتى الصفا فَعَلا عليه حتى نظر إلى البيت ، ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو [١٦٨] .

وكان عمر – رضي الله عنه – إذا صعد الصفا استقبل البيت ، ثم كبر ثلاثا ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يرفع بها صوته ، ثم يدعو قليلا ، ثم يفعل ذلك على المروة حتى يفعل ذلك سبع مرات [١٦٩] .

قال ابن عبد البر : وفيه – أي حديث جابر– أن الصفا والمروة موضع دعاء تُرجى فيه الإجابة [١٧٠] .

بالإضافة إلى عرفة فإنها من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، فهي جمعت بين الزمان والمكان .

وكذلك عند المشعر الحرام بعد صلاة الفجر ليلة عيد الأضحى لمن كان حاجاً ، كما مرّ في حديث جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ – رضي الله عنهما –قال : ثُمّ ركبَ القصواءَ حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ ، واستقبلَ القبلةَ ، فدعا اللّهَ ، وكبّرَهُ ، وهلّلَهُ ، ووحّدَهُ ، حتى أسفر جداً [١٧١]

وبعد رمي الجمرات عدا جمرة العقبة ، كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفعله ، فقد كان يقوم بعد الجمرة الصغرى والوسطى قياماً طويلاً فيدعو ، كما حكاه عنه ابن عمر – رضي الله عنهما – [١٧٢] .

وأما الأحوال التي يُستجاب فيها الدعاء فمنها :

١ ـ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب

عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء ، فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم . قالت : فادع الله لنا بخير ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول : دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ،

---

١٦٨ – رواه مسلم . كتاب الجهاد والسير (١٤٠٦/٣) .

١٦٩ – رواه ابن أبي شيبة (٨٢/٦) .

١٧٠ – التمهيد (٩١/٢) .

١٧١ – تقدم تخريج الحديث (ص ٢١) .

١٧٢ – رواه البخاري في كتاب الحج . باب من رمى جمرة العقبة ، ولم يقف ... (٦٢٣/٢) .

عند رأسه ملكٌ موكَّل كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل .قال : فخرجت إلى السوق ، فلقيـــت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [١٧٣] .

وهل رأيت أفضل من أن يؤمِّن على دعائك من لم يعص الله طرفة عين – أي المَلَك – فأنت المستفيد على كل حال ، يوكّل بك ملك كلما دعوت لأخيك قال : آمين ولك بمثل .

وفي هذا الحديث إشارة إلى طلب الدعاء من الآخرين ، وأنه كان معروفاً خلافاً لمن كرهه [١٧٤]

٢ ـ حال السفر

٣ ـ دعوة الوالد لولده ، وعلى ولده

٤ ـ دعوة المظلوم

وهـــذه الثلاث جمعها حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أَنّ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثَلاَثُ دَعَـــوَاتٍ مُسْتَجَـــابَـــاتٍ لاَ شَـــكّ فِيهِـــنّ : دَعْـــوَةُ الْوَالِـــدِ على ولـــده ، وَدَعْـــوَةُ الْمُسَافِـــرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ [١٧٥] .

وفي حديث عقبة بن عامـــر الجهني – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثلاثة تُستجاب دعوتـــهم : المسافر والوالد والمظلوم [١٧٦] .

وعند ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثَلاَثُ دَعَـــوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنّ لاَ شَكّ فِيهِنّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُـــومِ ، وَدَعْـــوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ [١٧٧] .

فعُلِم بذلك أن دعوة الوالد مستجابة سواءً كانت على ولده أو لِوَلَدِهِ .

وقد نُهينا أن ندعو على أولادنا خشية أن تُوافِق تلك الدعوة ساعة إجـــابة ، فيُستجاب دعاء الوالد أو الوالدة على الولد (الذكر والأنثى) .

---

١٧٣ – رواه مسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٤/٤) .

١٧٤ – وقد تقدّم هذا المعنى في طلب أبي عامر وأبي موسى – رضي الله عنهما – من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الـــدعاء . وأما حديث : لا تنسنا يا أُخيّ من دعائك . فهو ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (برقم ٦٢٧٨)

١٧٥ – حديث صحيح : رواه أحمد (٥١٧/٢) وأبو داود (٨٩/٢) والترمذي (٣١٤/٤) وابن حبان (٤١٦/٦ إحسان) .

١٧٦ – حديث حسن : رواه أحمد (١٥٤/٤) وابن خزيمة (١١٣/٤) .

١٧٧ – (٢٨١/٤) ورواه أبو داود الطيالسي (٢٥١/٤) وإسناده ضعيف كما بينه الدكتور محمد التركـــي – حفظـــه الله – في تحقيقه لمسند أبي داود الطيالسي – الموضع السابق – وتشهد له الأحاديث السابقة واللاحقة .

أخرج مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله – رضي الله عنه – قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسكُـــمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لا تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسأل فيها عَطَاءٌ فَيَسْجِيب لَكُمْ [١٧٨] .

ولما بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاذاً إلى اليمن حذّره دعوة المظلوم فقال : واتّقِ دَعوةَ المظلومِ ، فإنه ليس بينَهُ وبينَ اللّهِ حِجابٌ [١٧٩] .

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قال رسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثَلاَثَةٌ لا تُـــرَدّ دَعْوَتُهُـــمْ – وذكر منهم – : وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَام ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السّمَاءِ ، ويَقُولُ الرّبّ وعِزّتِي لأُنصُرَنّك وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ [١٨٠] .

وحذّر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دعوة المظلوم ، وأخبر عن سرعة صعودها ، مما يُشعر بسرعة استجابتها .

فقال – عليه الصلاة والسلام – : اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار [١٨١]

وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه – : إعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك مع الموتى ، وإياك ودعوات المظلوم ؛ فإنهن يصعدن إلى الله عز وجل كأنهن شرارات نار [١٨٢]

كما حذّر من دعوة المظلوم وإن كان كافراً فقال : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونـــها حجاب [١٨٣] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا سافر يتعوذ من : وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحَـــوْرِ بعد الكون ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال [١٨٤] .

---

١٧٨ – كتاب الزهد والرقائق (٢٣٠٤/٤) .

١٧٩ – رواه البخاري .كتاب الزكاة . باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (١٣٦/٢) ومســـلم .كتـــاب الإيمان (٥٠/١) .

١٨٠ – حديث صحيح لغيره : رواه أحمد (٤٤٥/٢) والترمذي (٦٧٢/٤) . وابن ماجه (٣٤٩/٢) وابن خزيمة (١٩٩/٣) وابن حبان (١٥٨/٣ إحسان) .

١٨١ – رواه الحاكم (٨٣/١) وقال الألباني : صحيح على شرط مسلم (الصحيحة (٥٢٨/٢) ح ٨٧١

١٨٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٢/٧) .

١٨٣ – تقدّم تخرجه (ص ٨) من هذا البحث .

١٨٤ – رواه مسلم من حديث عبد اله بن سرجس . كتاب الحج (٩٧٩/٢) . و " الحور بعد الكون " ضُبِطَتْ أيضـــا : الحَـــور الكَور . وانظر – غير مامور – تعليق محمد فؤاد عبد الباقي علي الحديث (صحيح مسلم – الموضع السابق)

ودعوة المظلوم تسري في جوف الليل ، فينام الظالم والمظلوم لم يَـــنم ، يرفع يديه ويستنـــزل عقوبة الله على من ظَلَمَه .

قال ابنٌ ليحيى البرمكي – وهم في السجن والقيود – : يا أبتِ بعد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هذا الحال ؟! فقال : يا بنى دعوة مظلوم سَرَتْ بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها ، ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غَدَوا في نعمةٍ زمناً والدهرُ ريانُ غَدَق
سَكَتَ الدهرُ زمانا عنهمُ ثم أبكاهم دما حين نَطَق [١٨٥]

٥ ـ حـال الاضطرار

قال سبحانه : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل : ٦٢]

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق قصة رجل لـــه بَغْلٌ يُكريه من دمشق إلى بلد الزبداني ، ويَحمل عليه الناس .قال : فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا على بعض الطريق على طريق مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها . فقال : بل هي أقرب ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعـــر ، وواد عميق ، وفيه قتلى ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل فنـــزل وتشمّر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه ، وقصدني ، ففرت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله ، وقلت : خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك ! فخوّفته الله والعقوبة ، فلم يقبل فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين ، فقال : عجِّل ، فقمت أصلي فارتج عليّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متحيراً ، وهو يقول : هيه ! افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل : ٦٢]فإذا أنا بفارس قد أقبل من فمِ الوادي وبيده حربة ، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فَخَرّ صريعاً ، فتعلقت بالفارس ، وقلت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء [١٨٦] .

١٨٥– المنتظم لابن الجوزي (١٩٢/٩) والبداية والنهاية لابن كثير (٦٧٩/١٣)

١٨٦ – (٢٥١/٦٨) وروى اللالكائي في كرامات الأولياء (مج ٥ جـ ١٦٦/٩) في كرامات أبي معلق – رضي الله عنه – قصة شبيهة بـــهذه القصة مع اختلاف في الدعاء ، وذكره ابن حجر في الإصابة (٣١٣/٧) في ترجمة أبي معلق ، ونسب القصة إلى ابـــن أبي الدنيا في مجابي الدعوة .

وإنما تحصلُ إجابةُ دعوةِ المضطر لأنه يُخلِص في تلك الحال – حـــال الاضطرار – ولـــوكان مشركا [١٨٧] .

٦ ـ الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ

حين يُفطر الصائم يفرح بإكمال صيام يوم ، وبتمام طاعته لِربِّـــه .

قال عَبْد اللّهِ بْن أَبِي مُلَيْكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّ لِلصّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُـــرَدّ [١٨٨] .

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ إِذَا أَفْطَـــرَ : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الّتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي [١٨٩]

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ – المتقدِّم – قالَ : قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثَلاَثَةٌ لا تُرَدّ دَعْوَتُهُمْ : – وذكر منهم – الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ [١٩٠]

قال نافع : قال ابن عمر : كان يُقال إن لكل مؤمن دعوة مستجابة عند إفطاره ، إما أن يُعجل له في دنياه ، أو يُدّخر له في آخرته . قال : فكان ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول عند إفطاره : يا واسع المغفرة اغفر لي [١٩١] .

٧ ـ حـال السجود

عندما يخرّ المصلّي ساجداً فإنه يضع أشرف مكان فيه وأعلاه على الأرض ، خاضعاً ذليلاً بين يدي مولاه ، فيكون أقرب ما يكون إلى ربِّـــه تبارك وتعالى .

---

١٨٧ – انظر – غير مأمور – (ص ٧ ، ٨ ، ٤٦) من هذا البحث .

١٨٨ – حديث حسن : رواه ابن ماجه (٣٥٠/٢) .

وقال البوصيري – في الزوائد – : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه الحاكم (٥٨٣/١) وقال : إسحاق هذا إن كان ابن عبد الله مولى زائدة ، فقد خرّج عنه مسلم ، وإن كان بن أبي فروة فإنهما لم يخرجاه . =

= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ليس هذا ولا ذاك ، فقد ورد اسم ابيه مُصغّراً في رواية ابن ماجه ، ورجّـــح ابن حجـــر في التقريب (ص ١٣٠) أن الذي أخرج لـــه ابن ماجه هو : إسحاق بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وهو مقبول . وساق ابن حجـــر في التهذيب (٢١٦/١) هذا الحديث في ترجمته ، والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٣) .

وللحديث شاهد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٨/٣) .

١٨٩ – سنن ابن ماجـــه (٣٥٠/٢) .

١٩٠ – سَبَقَ تخريجه (ص ٤٦) حاشية (١٧٢)

١٩١ – رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٣) .

قال رسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَلاَ وَإِنّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعــاً أَوْ سَاجِداً ، وأمّــا الرّكُوعُ فَعَظّمُوا فِيهِ الرّبّ عَزّ وَجَلّ ، وأمّــا السّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدّعَــاءِ ، فَقَمِــنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ [١٩٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدّعَاءَ [١٩٣] .

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في سجوده : اللهم اغفر لي ذنبي كلّه ، دِقّهُ وجِلّهُ ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [١٩٤] .

قال مسروق : ما من حال أحرى أن يستجاب لعبدٍ فيه إلا أن يكون في سبيل الله ، من أن يكون عافــراً وجهه ساجــداً [١٩٥] .

٨ ـ حال البيتوتة على طهارة

لا يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن ، ومَن بــات طاهراً فقد اقتدى بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

عن عُبادةُ بنُ الصامِتِ – رضي الله عنه – عنِ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَن تَعــارّ منَ الليلِ فقال : لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لــه ، لــه المُلكُ ، وله الحمدُ ، وهوَ على كلّ شيءٍ قدير . الحمدُ للّهِ ، وسبحان الله ، ولا إلهَ إلا اللّهُ واللّهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللّهِ ثم قال : اللهــمّ اغفِرْ لي ، أو دَعــا استُجيبَ له فإنْ توضّــأَ قبلَــتْ صلاتُه [١٩٦] .

وعَن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ – رضي الله عنه – قال : سَمِعْتُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : مَنْ أَوَى إِلى فِرَاشِهِ طَاهراً يَذْكُرُ الله حَتّى يُدْرِكَهُ النّعَاسُ ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللّيْلِ يَسْأَلُ الله شَيْئاً مِنْ خَيْرِ الدّنْيَا والآخِرَةِ إلاّ أَعْطاهُ الله إيّاهُ [١٩٧] .

---

١٩٢ – رواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٤٨/١) . ومعنى قمن : أي حريٌ وجدير وقريب .

١٩٣ – رواه مسلم . الموضع السابق (٣٥٠٨/١) .

١٩٤ – رواه مسلم . الموضع السابق نفسه .

١٩٥ – رواه ابن أبي شيبة (١٥٩/٢) .

١٩٦ – رواه البخاري . كتاب التهجد . باب فضل من تعار من الليل فَصَلّى (٤٩/٢) . ومعنى تعار : أي استيقظ وتقلب .

١٩٧ – رواه الترمذي (٥٤٠/٥) وقال : حسن غريب ، وقد روي هذا أيضا عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن عمــرو بــن عبسة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ورواه الطبراني في الكبير (١٢٥/٨) من طريق شهر عن أبي أمامة مرفوعاً . =

وفي هذا الحديث قيدٌ مهم ، وهو البيات على طهارة تامة من الحدث الأصغر والأكبر .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِراً فَيَتَعَارّ مِنَ اللّيْلِ ، فَيَسْأَلُ الله خَيْراً مِنَ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاّ أَعْطَاهُ إيّاهُ [198] .

قال ثَابِتٌ الْبُنَانِيّ: قدِمَ عَلَيْنَا أَبُو ظَبِيةَ ، فحدّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عن النّبِيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال ثَابِتٌ : قال فلاَنٌ : لَقَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا حِينَ أَنْبَعِثُ ، فَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا [199] .

فاسْأَلِ الله العونَ والتوفيق في كلِّ أمورِك .

٩ ـ عند ختم القرآن :

لكلّ عامل أُجرة عند خِتام عمله ، وقارئ القرآن له أُجرة مُعجّلة في الدنيا ، وهي دعوة مستجابة عند ختم القرآن ، مع ما يدّخر الله له يوم القيامة .

ولذا كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم [200] .

= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : الطريق التي أشار إليها الترمذي – حديث عمرو بن عبسة – رواها الطبراني في الكبير (١٢/٨) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٨٧/١) ومدار إسنادها على أبي ظبية ، وهو مقبول ، وشهر بن حوشب فيه مقال ، وله شاهد من حديث معاذ – وهو الآتي بعده – .

١٩٨ – رواه أحمد (٢٣٤/٥) أبو داود (٣١٠/٤) والنسائي في الكبرى (٢٠١/٦) وفي عمل اليوم والليلة (٤٦٩/١) وابن ماجه (٢٩٠/٤) وعبد بن حميد (ص ٧٣) والبزار (١٢٠/٧) كلهم رووه عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ به . وهو الحديث الآتي بعد هذا الحديث . ورواه أحمد (٢٤١/٥) عن عفان عن حماد بن سلمة قال : كنت أنا وعاصم بن بهدلة وثابت ، فحدّث عاصم عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن معاذ بن جبل – فَذَكَرَه – فقال ثابت : قدم علينا فحدثنا هذا الحديث ، ولا أعلمه إلا يعنى أبا ظبية . قلت لحماد : عن معاذ ؟ قال : عن معاذ .

وهذه متابعة قوية ، فقد تابَعَ ثابت البناني شهر بن حوشب عليه ، فيكون ثابت رواه عن أبي ظبية عن معاذ .

ورواه ابن أبي شيبة (١١١/١) عن شهر عن أبي أمامة موقوفاً . فلعل الحديث يرتقي إلى رتبة الحسن لغيره – إن شاء الله – .

ويشهد لبعضهه حديث ابن عمر مرفوعاً : من بات طاهراً بات في شعاره ملك ، فلم يستيقظ إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً . رواه ابن حبان (٣٢٨/٣ إحسان) وابن المبارك في الزهد (ص ٤٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨/٣) وهو في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٩٤) .

١٩٩ – رواه أبو داود (٣١٠/٤) .

٢٠٠ – رواه عنه الدارمي (٥٦٠/٢) وابن أبي شيبة (١٢٨/٦) وسعيد بن منصور (١٤٠/١) والطبراني في الكبير (٢٤٢/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٨/٢) وقال : هذا هو الصحيح موقوف ، وقد روي من وجه آخر عن قتادة عن أنس مرفوعا وليس بشيء .

ورواه من طريق ثانية ، وفي إسناده أبو عصمة نوح الجامع ، وقد كذّبوه ، ورواه القرطبي في التفسير (٣٠/١) موقوفاً على أنس

وجـــاء عنه أنه إذا أشفى على ختم القرآن بالليل بقى منه شيئا حتى يصبح ، فيجمع أهله فيختمه معهم [٢٠١] .

قال قتادة :كان رجل يقرأ في مسجد المدينة وكان ابن عباس قد وضع عليه الرَّصَد فإذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه .

وكان عبدالله بن المبارك يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود .

وكان إذا ختم القرآن أكثر دعاءه للمؤمنين والمؤمنات [٢٠٢]

والاجتماع من أجل الدعاء عند ختم القرآن كان معروفاً عند السلف ، فقد جاء عن الحكم قال :كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف ، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إليّ وإلى سلمة بن كهيل فقالوا : إنا كُـــنّـــا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم ، فأحببنا أن تشهدونا . إنه كان يقال : إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته [٢٠٣] .

وروى الحكم عن مجاهد قال : بَعَثَ إليّ قال : إنما دعوناك إنا أردنا أن نختم القرآن ، وإنه بلغنا أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن . قال : فدعوا بدعوات [٢٠٤]

قال القرطبي : ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله [٢٠٥]

وللشيخ الفاضل بكر أبو زيد رسالة بعنوان (مرويات دعاء القنوت) وبحثت عنه فلم أجده ، وأذكر أنه جمع مـــا في المســـألة مـــن أحاديث ورجّح صحة الموقوف .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وقد رواه الطبراني في الكبير (٢٥٩/١٨) من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً بلفـــظ : مـــن صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة .

قال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٧) : رواه الطبراني وفيه عبدالحميد بن سليمان وهو ضعيف .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وهو كما قال .

وخلاصة القول أن الحديث صحّ وقْـــفـــه على أنس ، ولم يصحّ رفعه، والعمل على هذا عند السلف . والله أعلم .

٢٠١ – رواه الدارمي ، والأثر الآتي بعده عن ابن عباس عنده في الموضع نفسه .

٢٠٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٤/٢، ٤١١) وكذا الأثر الذي قبله عن ابن المبارك – رحمه الله – .

٢٠٣ – رواه ابن أبي شيبة (١٢٨/٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٤/٢) .

٢٠٤ – رواه الدارمي (٥٦١/٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٤/٢) .

٢٠٥ – التفسير (٣٠/١)

خامساً : أدعية مأثورة ، ودعوات مستجابة

عن أَنَسٍ – رضي الله عنه – أَنَّهُ كَانَ مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جَالساً وَرَجُلٌ يُصَلّي ، ثُمّ دَعَا : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِأَنّ لَكَ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ المَنّانُ بَدِيعُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ يَاحَـيُّ يَاقَيّومُ . فَقَالَ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لَقَدْ دَعَـا اللهَ باسْمِهِ العَظِيمِ الّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى [٢٠٦] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد . فقال : لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى [٢٠٧] .

وعن أبي أمامة مرفوعا : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطـه [٢٠٨] .

قال القاسم بن عبد الرحمن : فالتمستها فإذا هي : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

وقـرأ رجل عند عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – البقرة وآل عمران ، فقال : قـرأتَ سورتين فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِـيَ به أجاب ، وإذا سئل به أعطـى [٢٠٩]

وفي حديث أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : (وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وفاتحة آل عمران : (اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [٢١٠] .

وعن أبي الدرداء وابن عباس أنـهما كانا يقولان : اسم الله الأكبر : رب رب [٢١١] .

---

٢٠٦ – حديث صحيح : رواه أحمد (١٢٠/٣) وأبو داود (٧٩/٢) والترمذي (٥٥٠/٥) والنسائي (٥٢/٣) وابن ماجـه (٢٧٧/٢) والحاكم (٦٨٣/١) وابن حبان (١٧٥/٣ إحسان) .

٢٠٧ – حديث صحيح : رواه أحمد (٣٦٠/٥) أبو داود (٧٩/٢) والترمذي (٥١٥/٥) والنسائي في الكبرى (٣٩٤/٤) وابن ماجه (٢٧٦/٢) والحاكم (٦٨٣/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وابن حبان (١٧٤/٣ إحسان) .

٢٠٨ – حديث حسن : رواه ابن ماجـه (٢٧٦/٤) والحاكم (٦٨٤/١ –٦٨٦) والطـبراني في الأوسـط (١٩٢/٨) وفي الكبير (٢٣٧/٨) وفي مسند الشاميين (٤٤١/١) .

والقاسم بن عبد الرحمن هو صاحب أبي أمامة – رضي الله عنه – وهو الراوي عنه .

٢٠٩ – رواه الدارمي (٥٤٣/٢) .

٢١٠ – رواه أحمد (٤٦١/٦) وأبو داود (٨٠/٢) والترمذي (٥١٧/٥) وقال : هذا حـديث حسـن صـحيح ، وابـن ماجـه (١٢٦٧/٢) والدارمي (٥٤٢/٢) وفي إسناده شهر بن حوشب وفيه كلام ، لكن يشهد له حديث أبي أمامة المتقدّم .

وقال ابن وهب سُئل مالك عن الداعي يقول : يا سيدي ؟ فقال : يُـــعجبني دعـــاء الأنبياء : ربنا ربنا [٢١٢] .

وصحّ عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : أَلِظُّـــوا بـــيا ذا الجلال والإكرام [٢١٣]
قال ابن الأثير : معنى أَلِظوا : إلزموه ، واثبتوا عليه ، وأكثروا من قوله والتلفظ به .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بـــهؤلاء الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تُـــهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأجعله الوارث مِـــنّـــا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا [٢١٤] .

---

٢١١ – رواه ابن أبي شيبة (٤٧/٦ ، ٢٣٣/٧) والحاكم (٦٨٤/١) .

٢١٢ – سير أعلام النبلاء (٩٧/٨) .

٢١٣ – حديث صحيح : رواه من حديث ربيعة بن عامر : أحمد (١٧٧/٤) والنسائي في الكبرى (٤٠٩/٤) والحاكم (٦٧٦/١) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
ومن حديث أنس : الترمذي (٥٣٩/٥) والضياء في المختارة (٨١/٦) وحسّن إسناده .
وقال الألباني : صحيح . يُنظر صحيح الجامع الصغير (برقم ١٢٥٠) .
وأما قول ابن الأثير فقد تقدم . وانظر – غير مأمور – (ص ١٣) من هذا البحث .

٢١٤ – حديث حسن : رواه الترمذي (٥٢٨/٥) والنسائي في الكبرى (١٠٦/٦) والحاكم (٧٠٩/١) .
وقع في رواية الترمذي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك . " يَحُول " بالياء .
وفي رواية النسائي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك . " تَحُول " بالتاء .

سادساً : موانع إجابة الدعاء

إذا أتى الداعي بآداب الدعاء ، وتحرّى مواطن الإجابة حالاً وزماناً ومكاناً ، فعليه التخلّص والابتعاد عما يمنع إجابة الدعاء .

وأما موانع الدعاء فـــ :

أولاً : أكلُ الحرام - أجارك الله -

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَال : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ إِنّ اللّهَ طَيّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاّ طَيّباً ، وَإِنّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَال : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون : ٥١] ، وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة : ١٧٢] ثُمّ ذَكَـــرَ الرّجُل يُطِيلُ السّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُـــدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَـــاءِ ، يَا رَبّ يَا رَبّ وَمَطْعَمُـــهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك ؟ [٢١٥]

فكم جمع هذا المثال من آداب وأحوال يُستجاب معها الدعاء ؟

فهو يُطِيلُ السّفَرَ ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ .

يمـــدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ .

يَا رَبّ يَا رَبّ [تكرار الدعاء]

ومع ذلك بعيدٌ كل البعد أن يستجاب له ، أو يُسمع دعاؤه .

والسبب : الحـــرام فـ

١ – **مَطْعَمُهُ حَرَامٌ**

٢ – **وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ**

٣ – **وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ**

٤ – **وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**

فكيف يُستجاب لمن جمع تلك البليّـــات ؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله من دعوةٍ لا يُستجابُ لها [٢١٦]

---

٢١٥ – كتاب الزكاة (٢/٧٠٣) .

٢١٦ – رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤/٢٠٨٨) .

ثانياً : استعجال الإجابة وترك الدعاء

أخبر الله – عز وجل – عن طبيعة الإنسان فقال : (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)[الأنبياء : ٣٧]

وقال – جل جلاله – : (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَـاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُـولاً) [الإسراء : ١١] .

والدّاعي قد تغلبه هذه الطبيعة البشرية فيترك الدعاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لاَ يَزَالُ يُسْتَجَـابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَـدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قِيل : يَا رَسُولَ اللّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ ؟ قَال : يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدّعَاءَ [٢١٧] .

وقد جمع هذا الحديث بين مانعين من موانع الدعاء :

الأول : الدعاء بالإثم .

والثاني : الاستعجال .

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قال رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يُسْتَجَـابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَـمْ يَعْجَـلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَـوْتُ رَبّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِـي [٢١٨] .

وفي خبر موسى صلى الله عليه وسلم [٢١٩] **أنه دعا ربَّه فقال : (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [يونس: ٨٨]**

فكان الجواب من ربّ الأرباب : (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)[يونس:٨٩] .

روي عن أبي جعفر محمد بن علي وعن الضحاك أنـــهما قالا – في قوله تعالى : (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) [يونس:٨٩] – : كان بينهما أربعون سنة . وقال ابن جريج : يُقال إن فرعون ملك بعد

---

٢١٧ – رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٦/٤) .

٢١٨ – رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١٥٣/٧) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٥/٤) .

٢١٩ – إذا ذُكِر الأنبياء فتُشرع الصلاة عليهم دون الاقتصار على السلام فحسب ، لقوله – عليه الصلاة والسلام – : صلوا على أنبياء الله ورسله ، فإن الله بعثهم كما بعثني . رواه البيهقي في شعب الإيمان ، وأورده الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٧٨١) ويشهد له ما ثبت في الصلاة الإبراهيمية .

هذه الآية أربعين سنة . قال مرزوق العجلي : دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي ، ولم أيأس منها [٢٢٠] .

أي أن دعاء موسى صلى الله عليه وسلم لم يُستجب إلا بعد أربعين سنة .

ولا بد أن يُعلم أن من وُفِّق للدعاء فقد وُفِّق لخير كثير ، وليست الإجابة الفورية من شرط الدعاء ، لأن من دعـــا فهو أمام أحدِ ثلاثةِ أمور :

١ – إما أن تُجـــاب دعوته مباشـــرة .

٢ – وإما أن يُصرف عنه من البلاء مثلما سأل .

٣ – وإما أن تُدّخر له في الآخرة أحوج ما يكون إلى الحسنات .

لحديث أبي سعيدٍ الخدري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مـــا من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بـــها إحدى ثلاث : إما أن تعجل لـــه دعوته ، وإما أن يدّخرها لـــه في الآخرة ، وإمـــا أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذاً نكثر ؟ قال : الله أكثر [٢٢١] .

وكان عمرُ – رضي الله عنه – يقول : إنّي لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء ، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – :

إذا وقعتَ في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعـــاء واللجأ إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من الذنوب ، فإن الزلل يُوجب العقوبة ، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب ، فإذا تُبتَ ودعوتَ ، ولم ترَ للإجابة أثراً فتفقّد أمرك ، فربما كانت التوبة ما صحّت فصححها ، ثم ادعُ ، ولا تملَّ من الدعاء ، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة ، وربـــما لم تكن المصلحة في الإجـــابة ، فأنت تُثاب وتُجاب إلى منافعك ، ومن منافعك أن لا تُعطى ما طلبت بل تُعوّض غيره ، فإذا جاء إبليس فقال : كم تدعوه ولا ترى إجابة ، فقل : أنا أتعبّد بالدعاء ، وأنا موقن أن الجواب حاصل ، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب ، ولو لم يحصل حصل التعبد والتذلل [٢٢٢] .

---

٢٢٠ – التمهيد لابن عبد البر (٣٠١/١٠) . وانظر – غير مأمور – تفسير الجلالين (ص ٢٨٠) .

٢٢١ – حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٤ صحيح الأدب) وعبـــد بـــن حميـــد (٢٩٢) وابن أبي شيبة (٢٢/٦) والحاكم (٦٧٠/١) وصححه ، ووافقه الذهبي . ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١١/٦)

٢٢٢ – انظر – غير مأمور – صيد الخاطر (ص ٣٠٥) .

وقال – رحمه الله – : من العَجَب إلحاحك في طلب أغراضك ، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك ، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين :

إما لمصلحتك ، فربما مُعجَّلٌ أذى .

وإما لذنوبك ، فإن صاحب الذّنوب بعيد من الإجابة .

فَنَظِّف طُرق الإجابة من أوساخ المعاصي ، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك ، أو لمجرّد هواك ؟ فإن كان للهوى المجرّد ، فاعلم أن من اللطف بك ، والرحمة لك تعويقه ، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيُمنع رفقاً به ، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره ، أو كان صلاح الدين بِعَدَمِه . وفي الجملة فتدبير الحق – عز وجل – لك خيرٌ من تدبيرك ، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلوا صبرك ، فَأَرِهِ الصبر الجميل ترى عن قربٍ ما يَسُرّ [٢٢٣] .

وقال ابن رجب : فإن المؤمن إذا استبطأ الفَرَج ، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثر الإجابة ، رجع إلى نفسه باللائمة ، وقال لها : إنما أتيت من قبلك ، ولو كان فيك خير لأُجِبتِ ، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات ، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه ، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء ، وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء ، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء ، وتفريج الكرب ، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . قال وهب : تعبد رجل زمانا ثم بَدَتْ له إلى الله حاجة ، فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ، ثم سأل الله حاجته فلم يُعطها ، فرجع إلى نفسه ، فقال : منك أتيت ، لو كان فيك خيراً أُعطيت حاجتك ، فنزل إليه عند ذلك ملك ، فقال له : يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت ، وقد قضى الله حاجتك . خرجه ابن أبي الدنيا [٢٢٤] .

ثالثاً : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر صمام أمان للفرد والجماعة ، ومِن ذلك أن تركه سبب لعدم إجابة الدعاء .

---

٢٢٣ – المرجع السابق (ص ١٧٩) .

٢٢٤ – جامع العلوم والحكم (١/٤٨٠) .

ومما ينبغي أن يُعلم أن المسلم ليس مُتعبّد بأكل إحدى عشرة تمرة كل سَبْت ، بل الذي جاءت به السنة أن يتصبّح كل يوم بسبع تمرات إما مِن عجوة المدينة ، وإما مما بين لابتيها .

فعن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ – رضي الله عنهما – عن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُــرُنّ بالمَعْــرُوفِ وَلَتَنْهَوُنّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أو لَيُوشِكَنّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَ تَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ [٢٢٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : مــروا بالمعروف وانــهوا عن المنكــر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم [٢٢٦] .

وينبغي أن يُعلم إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُسوّغ ترك الدعاء .

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بترك الإنكار بمراتبه الثلاث ؛ الإنكار باليد واللسان والقلب .

ومَن أنكر بالقلب فإنه لم يترك الإنكار .

ومَن ترك الدعاء بترك الإنكار فقد جمع إلى الخطأ خطأ آخر ،وإلى الذنب ذنباً آخر .

رابعاً : ارتكاب الذنوب والمعاصي

الذّنوب تسدّ طُرق الإجابة ، وتُبعد عن علاّم الغيوب .

قال سبحانه موبِّخــاً الكفار : (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلالٍ) [غافر : ٤٩ ، ٥٠] .

إن المعاصي والذنوب مما يُقسّي القلوب ، وإن أبعدَ شيءٍ من الله القلب القاسي .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي [٢٢٧] .

ولذلك بوّب البخاري – رحمه الله – في أوائل كتاب الدعوات من الصحيح باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ، باب التوبة ...

---

٢٢٥ – حديث حسن : رواه أحمد (٣٨٨/٥) والترمذي (٤٦٨/٤) وقال : حديث حسن ، وابن أبي شيبة (٤٦٠/٧) .

٢٢٦ – حديث حسن : رواه أحمد (١٥٩/٦) وابن ماجه (٣٥٩/٤) وابن حبان (٥٢٦/١ إحسان) .

٢٢٧ – حديث حسن : رواه الترمذي (٦٠٧/٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥/٤)

ورواه الإمام مالك (٩٨٦/٢) بلاغاً أن عيسى ابن مريم كان يقول : – فَذَكَرَه – ، ومن طريقه رواه ابن المبارك في الزهد (٤٤) ، ورواه ابن أبي شيبة (٣٤٠/٦) عن محمد بن يعقوب قال : قال عيسى ابن مريم – فَذَكَرَه – ومن طريقه رواه أحمد في الزهد (٤٠)

قال الحافظ ابن حجر : أشار المصنف بإيراد هذين البابين – وهما الاستغفار ثم التوبة – في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبساًبالمعصية ، فإذا قدّم التوبة والاستغفار قَبْلَ الدعاء كان أمكن لإجابته [٢٢٨]

قال يحيى بن معاذ الرازي : لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت ، وقد سَدَدْتَ طرقها بالذنوب [٢٢٩]

قال ابن القيم : يا مُستَفْتِحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى ، كيف توسع طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق ، ولو وَقَفْتَ عند مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُراد [٢٣٠] .

خامساً : الاعتداء في الدعاء

وقد تقدّم معنا أن الاعتداء في الدعاء نوع عبثٍ لا يليق بالقُربات ، وقد ينصرف القلب عن الدعاء واستحضار المطلوب إلى تلك الاعتداءات التي تضر ولا تنفع .

فمن أراد إجابة دعائه فليجتنب الاعتداء في الدعاء [٢٣١] .

سادساً : غفلةُ القلب

سبق إيراد قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ [٢٣٢] .

قال ابن القيم – بعد كلام عن الرُّقية ونفعها – : وكذلك الدعاء ، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره ، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّتِه عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنـــزلة القوس الرَّخْوِ جداً ، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا ، وإما لحصول المانع من الإجابة ؛ من أكل الحرام ، والظلم ، ورَيْنِ الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغَلَبَتِها عليها [٢٣٣] .

---

٢٢٨ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/١٠٤ – ١٠٦) .

٢٢٩ – رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٥٤) .

٢٣٠ – الفوائد (ص ٧٧) . ومعنى (إقليد) أي مفتاح .

٢٣١ – انظر – غير مأمور – (ص ٢٩ – ٣٣) من هذا البحث

٢٣٢ – تقدم تخريجه (ص ٢٤) .

٢٣٣ – الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (٩) .

سابعاً : ثلاثة أصناف لا يُستجاب لهم

عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثلاثة يَدْعُون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله ، وقد قال الله – عز وجل – : (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ) [النساء : ٥] [٢٣٤] .

وعدم استجابة دعاء هؤلاء إنما هو في خصومهم المذكورين في الحديث .

قال المُناوي : رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها ، فإذا دعا عليها لا يستجيب له ؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها ، وهو في سعة من فراقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه فأنكره ، فإذا دعا لا يُستجاب له ؛ لأنه المفرط المقصِّر بعدم امتثال قوله تعالى : (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ) [البقرة:٢٨٢] ، ورجل آتى سفيهاً – أي محجوراً عليه بِسَفَهٍ – ماله ، أي شيئا من ماله ، مع علمه بالحجر عليه ، فإذا دعا عليه لا يستجاب له ؛ لأنه المضيع لِمالِه فلا عُذر له [٢٣٥] .

---

٢٣٤ – رواه الحاكم (٣٣١/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى ورواه البيهقي (١٤٦/١٠) وابن أبي شيبة (٥٥٩/٣) موقوفاً على أبي موسى ، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٨٠٥) وفاته طريق ابن أبي شيبة وطريق البيهقي .

٢٣٥ – فيض القدير (٣٣٦/٣) .

سابعاً : نماذج من دعوات الصالحين

لم أقصد حصر الدعوات المُستجابة ، وإنما أردت حفز الهِمم إلى الدعاء ، خاصة إذا علموا أن من عباد الله الصالحين قد أُجيبت دعواتهم ، وهم ليسوا بأنبياء ولا معصومين ، ولا بالوحي مؤيدين.

وفي الكتاب العزيز والقرآن المجيد نماذج من دعوات الأنبياء والمرسلين ، وقد تقدّم غير أنموذج من دعوات نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ودعوة ذي النون ، ودعوة نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم .

وإليك بعض النماذج والأمثلة لدعوات الصالحين :

دعوةُ سعيدِ بن زيد - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أروى بنت أويس

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَال سَعِيدٌ : أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال : وما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قَال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ : مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً طَوّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرضِينَ . فَقَال لَهُ مَرْوَانُ : لاَ أَسْأَلُكَ بَيّنَةً بَعْدَ هَذَا ، فَقَال : اللّهُمّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمّ بَصَرَهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا . قَال : فَمَـا مَاتَتْ حَتّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ .

وفي رواية : قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر ، تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار ، فوقعت فيها فكانت قبرها [٢٣٦] .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أسامة بن قتادة :

عن عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : شَكا أهلُ الكوفةِ سَعدَ بن أبي وقاص إلى عمرَ – رضي الله عنه – فعزَلَهُ واستعملَ عليهم عَمّاراً ، فشَكَوا حتى ذَكروا أَنّهُ لا يُحسِنُ يُصلّي ، فأَرسلَ إليه فقال : يا أبا إسحاق ! إنّ هَؤلاءِ يَزعُمونَ أَنّكَ لا تُحسِنُ تُصلّي ! قال أبو إسحاقَ : أمّا أنا واللهِ فإني كنتُ أُصلي بـــهم صلاةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما أخرِمُ عنها ، أُصلّي صلاةَ العِشاءِ فأَركُدُ في الأُولَيَيْنِ وَأُخِفّ في الأُخرَيَينِ . قال : ذاكَ الظنّ بكَ يا أبا إسحاقَ ،

---

٢٣٦ – رواه البخاري – مختَصَراً – كتاب المظالم . باب إثم من ظلم شيئا من الأرض (٣/١٠٠) ، ورواه مسلم بطولـــه . كتـــاب المساقاة (٤/١٢٣١)

فأَرسلَ معه رجُلاً – أو رجالاً – إلى الكوفةِ فسألَ عنه أهلَ الكوفةِ ، ولم يَدَعْ مسجداً إلاّ سألَ عنه ، ويُثنونَ مَعروفاً ، حتى دخلَ مسجداً لِبني عبسٍ ، فقامَ رجلٌ منهم يُقالُ له : أُسامةُ بنُ قَتادةَ ، يُكْنىَ أَبا سَعدةَ قال : أمّا إذ نَشَدْتَنا فإنّ سَعداً كان لا يَسيرُ بالسريّةِ ، ولا يَقسِمُ بالسّويّة ، ولا يَعدِلُ في القَضيّة .

قال سعدٌ : أَما وَاللهِ لأَدْعوَنّ بثَلاثٍ : اللّهمّ إن كان عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رِياءً وَسُمعةً ، فأَطِلْ عمرَهُ ، وَأَطِلْ فَقرَهُ ، وَعَرّضْهُ بالفِتَنِ ، وكان بَعدُ إذا سُئلَ يقول: شَيخٌ كبيرٌ مَفتون أصابَتْني دَعوةُ سعد . قال عبدُ الملكِ – أي ابن عمير– : فأنا رأيتُه بعدُ قد سَقطَ حاجِباهُ عَلَى عَينيهِ منَ الكِبَرِ ، وإنه ليَتعرّضُ للجواري في الطّرقِ يغمزهُنّ [٢٣٧] .

وفي رواية : فما مات حتى عميَ ، فكان يلتمس الجدران ، وافتقر حتى سأل ، وأدرك فتنة المختار فقُتِلَ فيها .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص أيضا على من كان يسُبّ الصحابة :

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أقبل سعدٌ من أرضٍ له ، فإذا الناس عكوفٌ على رجل ، فاطّلع فإذا هو يسبُّ طلحة والزبير وعلياً ، فنهاه ، فكأنما زاده إغراءً ، فقال : فقال : ويلك ! تريدُ أن تسبَّ أقواماً هم خيرٌ منك ؟ لتنتهينّ أو لأدعونّ عليك . فقال :كأنما تخوفُني نبيّ من الأنبياء ! فانطلق فدخل داراً فتوضأ ، ودخل المسجد ثم قال : اللهم إن كان هذا سبّ أقواماً قد سبقت لهم منك حسنى ، أسخطك سبُه إياهم ، فأرني اليوم آيةً تكونُ للمؤمنين آيةً . قال : وتخرج بُختيةٌ من دار بني فلان لا يردُها شيء حتى تنتهي إليه ، ويتفرّقَ الناسُ ، وتجعلَه بين قوائمها وتطأه حتى طفي ، قال : فأنا رأيت سعداً يتبعه الناس يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق [مرتين] [٢٣٨] .

قال الذهبي : في هذا كرامة مشتركة بين الداعي ، والذين نِيلَ منهم [٢٣٩] .

---

٢٣٧ – رواه البخاري . كتاب الأذان . باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (١٨٣/١ ، ١٨٤) ورواه مسلم – مختصرا دون ذِكرِ القصة – (٣٣٤/١ ، ٣٣٥) والرواية التي تليها رواها اللالكائي في كرامات الأولياء (مج ٥/ جـ ٩/ ١٣٧) .

٢٣٨ – رواه الطبراني في الكبير (١٤٠/١) وقال الهيثمي في المجمع (١٥٤/٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، ورواه ابن أبي شيبة (٣٧٥/٦) مختصراً .

٢٣٩ – سير أعلام النبلاء (١١٧/١) .

دعوته – رضي الله عنه – يوم القادسية على من عرّض به :

عن قَبيصة بن جابر قال : قال ابن عـــمّ لنا يوم القادسية :

ألم تر أن الله أنـــزل نصـــره وسعدٌ بباب القادسيـــة معصَمُ

فأُبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ ونسوةُ سعد ليس فيهن أيّـــمُ

فلما بلغ سعداً . قال : اللهم اقطع عنّي لسانه ويده ، فجاءت نُشّابَةٌ أصابت فاه فخرس ، ثم قُطعت يدُه في القتال ، وكان في جسد سعد قروح فأخبر الناس بعذره عن شهود القتال ، فعذروه ، وكان سعد لا يجبن ، وقال : إنما فعلت هذا لما بلغني من قولكم [٢٤٠] .

دعوةُ المحاميد :

روى الخطيب البغدادي عن أبي العباس البكري قال : جمعت الرحلة [٢٤١] **بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتـــهم ، وأضرّ بـــهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في منـــزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ ، وأصلي صلاة الخِـــيَرَة ، قال فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع ، وخصـــيٌ من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب فنـــزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقال : هو ذا يُصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة ، وفيها خمسون دينارا ، ثم قال : إن الأمير كان قائلا بالأمس ، فرأى في المنام خيالاً قال : إن المحامد طووا كشحهم جياعا ، فأنفَذَ إليكم هذه الصِّرار ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أمدُّكم** [٢٤٢] .

---

٢٤٠ – رواه الطبراني في الكبير (١٤١/١) ، وقال الهيثمي (١٥٤/٩) : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات .

٢٤١ – يعني الرحلة في طلب الحديث . فانظر – رحمك الله – إلى معاناة السلف وتكبدهم المشاق والجوع والفقر والفاقة في ســـبيل تحصيل العلم . من أجل ذلك رفع الله ذِكرهم في العالمين ، وبقيت علومهم يُنتفع بها على مـــرّ السنين .

٢٤٢ – تاريخ بغداد (١٦٥/٢) . وهؤلاء العلماء الفضلاء هم : محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ، ومحمـــد بـــن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح ، ومحمد بن نصر المروزي صاحب كتاب تعظيم قدر الصلاة ، وكتاب قيام الليل ، ومحمـــد بـــن هارون الروياني صاحب المسند .

فهذه نماذج لدعوات من صدقوا مع الله فصدقهم الله .

أخـــيراً :

بعد هذا المشوار مع الدعاء وآدابه وموانعه والدعاء المستجاب ، هلاّ ساءلت نفسك :كم مرة انطرحت بين يدي الله ؟

وكم مرة أحسستَ فيها بصدق المناجاة ؟

أليس لك حاجة بل حاجات إلى رب الأرض والسماوات ؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أعجز الناس من عجز عن الدعاء [٢٤٣] .

أعجَزتَ أن تنفع نفسك بدعوة صالحة ؟ علّ الله أن ينفعك بـــها .

مُنـاجـاة [٢٤٤]

مالي وقد فرّطتُ في أمـــري سوى ... ربٍّ إلى نفحـــاتـــه أتعـــــرّضُ

ما كان من عذرٍ لتقصيري سوى ... نفسٍ تُقادُ إلى الجنان فتُعـــرِضُ

مالي سواك إذ الخطوب تفاقمت ... أمري إليك على الدوامِ مُفَوَّضُ

يا خيرَ من أعطى وأكرمَ من عفا ... وإذا دعاه مذنبٌ لا يُعـــــرِضُ

عبـــدٌ بضاعته الكلامُ ، جهـــادُه ... صحفٌ تُسطّرُ أو قريض يُقرض

يدعو الورى للصالحات وسِفْـــره ... في صالح الأعمـــال خِلْوٌ أبيض

ويُحبُّ درب الصالحين وإن أكن ... قصّرتُ فيما طوّلـــوه وعرّضـــوا

لكن له قلبٌ يُحبُّـــك كـــلُّـــه ... وقلوبُ أهلِ الحـــب لا تتبعّضُ

أنت الذي أكرمتني منذ الصـــبا ... ورعيتني والخـــير منك مُقيَّـــضُ

وارزقني الإخلاص حتى لا أُرى ... إلا وكلّي في رضاك مُمَحَّـــضُ

وأعيشُ يا ربي لدينك داعيـــاً ... ما دام بي نَفَسٌ وعـــرقٌ ينبِضُ

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، استغفرك ، وأتوب إليك . ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

---

٢٤٣ – حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (٣٧١/٥) مرفوعاً . ورواه ابن حبان (٣٥٠/١٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٩/٦) موقوفاً على أبي هريرة – رضي الله عنه – .

٢٤٤ – من ديوان نفحات ولفحات للدكتور يوسف القرضاوي (ص ١٢٠ – ١٢٤) .